

الكتاب الثاني

ألقاه حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه

في ٢٨ كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٥م

في الجلسة السنوية بقاديان

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

كنت أعاني من السعال مسبقاً، أما الآن فقد بحّ صوتي بسبب خطاب الأمس وخطابي اليوم في السيدات، ولكن لا داعي للقلق لأن صوتي سيصلكم بإذن الله تعالى.

قبل الشروع في الخطاب أريد أن أنصح الإخوة أن يستوعبوا عظمة ذكر الله تعالى، فإنكم لا تحضرون ههنا للهو واللعب، إنما تأتون لذكر الله تعالى ولرفع اسمه، لذلك لا بد من مراعاة آداب ذكر الله تعالى. ولكن مع الأسف أقول إن بعض الإخوة لا يراعون هذه الآداب فيخرجون من مكان الجلسة دونما سبب أو حاجة، ثم يقفون هنا وهناك ويتحدثون. لا شك أن ما يقارب ثمانئة أو ألف شخص من الإخوة غير الأحمديين أيضاً يشتركون في هذه الجلسة، وبما أنهم لا يعتادون سماع المواعظ لمدة طويلة فإن معظمهم يغادرون مكان الجلسة ثم يعودون إليه، ولكن لوحظ أنهم ليسوا وحدهم الواردون

المغادرون، بل يخرج معهم بعض الأحمديين أيضا رغبة في تبليغهم. ولكن يجب أن تتذكروا أن الواجب الأكبر والأساس للإنسان في دينه ما يخص نفسه. عن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان المرء يهمله هداه فلا يضره إذا ضل غيره، إنما عليه الاهتمام بأمر نفسه، وألا يضيع هداية نفسه من أجل غيره.²⁵

يضحي المؤمن بالمال والنفس في سبيل الدين، ولكن لا يسع المؤمن أن يضحي بدينه ولو بالدنيا كلها لأنه أثن وأعلى من كل شيء دنيوي. فيمكنكم مغادرة مكان الاجتماع عند قضاء حاجة من حوائجكم ولكن يجب الإسراع في العودة إليه لأنكم لا تعرفون متى تأتي تلك الساعة التي يسعى الإنسان ليحظى بها طول حياته.

25 هذا هو مضمون الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة ١٠٦)، إلا أننا لم نعثر على هذه الرواية، وأقرب ما وجدناه بهذا المعنى هو كالتالي: عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي عِكْرَمَةُ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عَنْهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ الزَّمِ بَيْتَكَ وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ. (سنن أبي داود، كتاب

(الملاحم). (المترجم)

فقد تأتي في حياة الإنسان ساعة يتحول فيها من كافر إلى مؤمن بسبب كلمة واحدة، ومن عبد الشيطان إلى عبد الرحمن. انظروا ماذا حدث مع عمر رضي الله عنه الذي كان قد بلغ ذروته في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم ولكن قولاً واحداً فحسب غير مجرى حياته. لقد خرج بنية قتل النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه علم أن أخته قد أسلمت. فذهب إلى بيتها، فسمعها تتلو القرآن. فافتحم الغرفة غاضباً وطفق يضرب زوج أخته، فلما أرادت أخته إنقاذ زوجها أصابها الضرب أيضاً، فندم عمر على ما فعل، وهنا قالت له أخته: أتغضب علينا لأننا آمنا بإله واحد؟! فاهتز عمر من الرأس إلى الأخصمين لدى سماع هذا القول فقال: حسناً، أروني ما كنتم تقرأن. فقالت له: كلا، اذهب واغتسل أولاً، ثم سنسمعك هذا الكلام المقدس. فاغتسل ورجع، فسمع تلاوة القرآن الكريم فأخذته الرقة وسالت دموعه فتوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودق عليه الباب، فلما علم بعض الصحابة أنه عمر أشاروا عليه بعدم فتح الباب كي لا يلحق أي ضرر بأحد لأنه رجل شديد. فقال حمزة رضي الله عنه إذا أتى مدفوعاً بمعارضته فبيدنا السيف أيضاً. وأخيراً سمح له النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول، فلما جاء قبالة قال له صلى الله عليه وسلم: إلام ستظل سادراً في

معارضتي؟ قال عمر يا رسول الله، إني لم آت معارضاً، بل أتيت لأكون عبداً من عبيدك.²⁶

انظروا كيف هُدي عمر رضي الله عنه. فلو لم يقصد هذا المجلس لربما ظل محروماً من الإيمان. لديكم فرصة سنة كاملة للاسترخاء، فيجب في هذه الأيام المعدودة الاستماع إلى كلام الله تعالى ولو بتحمل شيء من المشقة وعدم ضياع ثانية من هذا الوقت.

والأمر الثاني الذي أريد قوله لكم هو كما أخبرت بالأمس أنني كنت قد بدأت مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأردنية، ولقد أهيت بفضل الله تعالى ترجمة سورة البقرة في ٢٠ ديسمبر الفائت، وأتوقع أن ينشر في السنة القادمة المجلد الأول المحتوي على ترجمة سبعة أجزاء ونصف. أطلب من الإخوة الدعاء أن يوفقي الله تعالى لإتمام هذه المهمة وأداء هذا الواجب دون أي عائق وأتمكن من إيصال ترجمة معاني القرآن وتفسيره للإخوة جميعاً.

والأمر الثالث الذي أقوله لكم هو إني قد لفتُ أنظار أفراد الجماعة إلى المشاكل المالية التي تعانيها الجماعة، وأقول لكم اليوم: لا داعي للقلق لأن هذا الوضع أيضاً يشكل آية على صدق الجماعة.

كتب أحد المؤرخين الفرنسيين: لقد قرأت عشرات الكتب التي تذكر أن محمداً (ﷺ) كاذب ولكن ماذا أفعل بتلك الكتب التي أرى فيها أن محمداً يجلس بين الفقراء والهمجيين غير المثقفين من الناس في غرفة ضيقة تسمى مسجداً مغطىً بجريد النخل يدلف المطر من سقفه حتى يضطرون لیسجدوا في الماء والوحل. ومن بين هؤلاء - الذين لا يجد معظمهم ثيابا كافية لتغطية أجسامهم - من يشير عليهم كيف يمكنهم فتح العالم كله، ثم نرى أنهم فعلا بعد بضعة أعوام قد حققوا ما أرادوا. يقول هذا المؤلف إن آلاف صفحات المعارضين تبدو لي تافهة أمام هذا الحدث الوحيد. وعليه فلو انضم الأمراء والملوك إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام فور إعلانه عن دعاويه لما ثبت أن ما أحرزه من نجاح باهر هو فعل الإله القادر بل لاعتبره الناس فعل الأمراء والملوك. فلما أعلن عليه السلام عن دعاواه انقلب جميع أقاربه ورفقائه وأعزائه إلى أعداء ألداء له. كان المولوي محمد حسين البطالوي صديقه الحميم الذي كان يشهد لحضرته لعلمه الغزير ومعرفته الدقيقة إلا أنه أشاع إثر دعواه عليه السلام بأنه قد اختل عقله - والعياذ بالله - وادعى بأنه الذي رفعه وهو الذي سيسقطه. بالإضافة إلى ذلك فقد عارضه مشايخ العالم كله واستصدروا فتاوى التكفير ضده من العرب والعجم، ولكن مع كل ذلك فقد نهض عليه السلام

وحيداً وقال لا شك أنه ليس معي أحد اليوم وأصبح العالم كله يعاديني، ولكن ماذا أفعل بهذا النداء الإلهي الذي لا أزال أسمعه: "جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صولٍ بعد صولٍ."^{٢٧} كيف لي أن أكذب هذا النداء. كانت الحكومة وقتها تخالفه والناس أيضاً يعادونه ولكن ماذا كانت النتيجة؟ كان هو الوحيد في جهة والعالم كله في الجهة الأخرى. ولكن انظروا ههنا الآن أن عدداً كبيراً قد شُغِفُوا بحبه، نرى حشداً كبيراً منهم ههنا اليوم أما عددهم في العالم كله فقد وصل إلى مئات الألوف.

لما زرت الشام في العام الماضي لقيني أحد كبار أدباء دمشق الذي يُعتبر مجدداً في الأدب العربي وقال لي مستهزئاً: لا تنشروا كتب المرزا المحترم ههنا لأنها تحتوي على أخطاء لغوية، فلن تترك لدى الناس انطباعاً جيداً. فقلت له: ها إنني جالس بين يديك فيمكنك أن تقدم لي أي اعتراض على كتب المسيح الموعود عليه السلام، ولن أبرح هذه الأرض حتى أثبت بطلان ادعائك. فقال: لا أريد أن أنافسكم إلا أنني نصحت لكم. قلت له: يمكنك أن تنافس إذا استطعت. قال:

هذا سيضرّ بكم. قلت: إذا كنا على الباطل فمن واجبك أن تتحدانا، ولكن إذا كنا على الحق فلن تضرنا معارضتك ولا تحديك بل سيفيدنا. فلم ينبس بينت شفة ولم يقدم لي أي اعتراض. ثم قال: لا يمكن للعرب أن يؤمنوا بالمسيح الهندي. قلت له: سأقيم هنا مركز الجماعة وسينشأ هنا فرع الجماعة قريبا وافعل ما تستطيع للحيلولة دونه. كنا قد مكثنا هناك خمسة أيام فقط، ولكن ظهرت بوادر قدر الله تعالى قبل مغادرتنا إذ تلقيت في الساعة العاشرة ورقة من شخص مثقف يعرف اللغة العربية والفارسية والتركية أيضا قال فيها: أنتظر لقاءكم ههنا منذ الصباح وقد لا أجد لديكم وقتًا الآن لذلك أطلعكم من خلال هذه الوريقة أنني آمنت بسيدنا الميرزا، وبممكنك أن ترسلني للتبليغ حيث تشاء.

أما الآن فقد وصل بعض مبلغينا إلى هناك وتأسست الجماعة بفضل الله تعالى. وأرسل لي هذا الشخص - الذي كان قد قال لي سابقا إنه لن يؤمن العرب بالمسيح الهندي - رسالة يقول فيها: أرجو ألا تسيئوا بي الظن، منذ الآن فصاعدًا لن أعارضكم أبدًا.

فينبغي ألا يقلقكم فقركم وضعفكم، بل الذي يظن أن فقرنا وضعفنا سيحول دون نجاحنا فهو يشرك، لأنه يظن أنه هو من ينجز أعمال الجماعة، وفي الوقت نفسه من يظن أنه عديم الجدوى فهو

يتهم الله العليم القدير بأنه اختار لفتح العالم من لا طائل منه. من يخرج للقاء العدو حاملاً بندقية مكسورة أو سيفاً مكسوراً فلا يسميه الناس جندياً ناجحاً، وعليه فمن اختاره الله تعالى لخدمة الجماعة فلا يمكن أن يكون عديم الجدوى. بل من يختاره الله تعالى فهو الشخص المعزّز حقيقة وليس بذليل مطلقاً.

لقد قال أحد زعماء المدينة قبل ثلاثة عشر قرناً: لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ - يقصد نفسه - من المدينة من هو الأذلّ، ويقصد بذلك الرسول الكريم ﷺ والعياذ بالله. يقول الله تعالى ردّاً عليه: إنه يقول بأن العزة له، كلا بل العزة في الإيمان بالرسول^{٢٨}. فلما سمع ابنه هذا القول جاء إلى النبي ﷺ وقال: سمعت أن أبي قال كذا وكذا، وعقابه أن يُقْتَلَ، ولكن أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في الناس، فأقتله^{٢٩}. فلعله أدرك قدره جيداً بعد سماعه هذا القول من ابنه.

فلا تنظروا إلى مواردكم القليلة وعلمكم اليسير ومكانتكم المتواضعة، واعلموا أن الجماعة قد تشكلت وبلغت مبلغها الحالي

²⁸ البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة "المنافقون". (الناشر)

²⁹ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣ ص ١٩٧، دار إحياء التراث العربي

بموارد كانت أقل بكثير من مواردنا الحالية. فإذا كان عددنا القليل قد جلب مئات الآلاف من الناس إلى هذه الجماعة فلماذا لا يتمكن مئات الألوف من الأحمديين الآن من جلب الملايين؟

قبل أيام قليلة رأيت في رؤيا أنني ألقى خطبة أقول فيها: يجب أن نتم بصحة أطفالنا لأنه سيقع على عواتقهم أضعاف ما تقع الآن على عواتقنا من أعباء. فسترى أجيالنا القادمة أن القوى الكبرى والعظيمة من العالم سوف تضطر للاعتراف بأنه لا يمكن الآن القضاء على الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولكن الله تعالى لن يرضى بهذا فقط، بل يزداد عدد أفراد الجماعة باستمرار حتى يضطر الناس للقول إنه لا يوجد في العالم إلا الأحمدية. لقد أعلن المسيح الموعود عليه السلام في بداية عهده حيث لم يكن معه شخص واحد فقال: لقد أخبرني الله تعالى بأن جماعتي سوف تزدهر ازدهاراً عظيماً لدرجة لن تبدو مقابلها جماعات العالم إلا كمثل طوائف الغجر القديمة. فبعض الناس يؤمنون اليوم وبعضهم غداً وآخرون بعد غدٍ، وهكذا ستظل الجماعة في ازدهار مستمر يوماً بعد يوم، وتزداد قوة ساعةً بعد ساعة، وسيؤمن بالمسيح الموعود عليه السلام الفقير والغني وعامة الناس وخواصهم والملوك ورعاياهم، حتى لا تبقى في العالم كله إلا هذه الجماعة الإسلامية الوحيدة، أما المذاهب الأخرى فستتلاشى

مقابلها كتلاشي النجوم عند طلوع الشمس البازغة. هذا من إخبار الله تعالى فلا بد أن يتحقق، فلا يمكن أن يتأثر إيماننا بعراقيل العالم مهما كانت عملاقة، ولا يمكن أن نياس نظراً إلى معارضة الناس، وأنى لمن عاين تشكيل جماعة مئات الألوف بواسطة شخص واحد أن يياس من رقي الجماعة وازدهارها في المستقبل؟ لسنا ضعاف الإيمان حتى نظن أننا لن نستطيع فتح العالم مع رؤيتنا مئات الألوف من الآيات ومع مشاهدتنا تحقق ما لا حصر له من وعود الله تعالى. لا شك أننا ضعاف ولسنا أقوىاء ولا نملك الأدوات الظاهرية، فلسنا نحن من يقوم بفتح العالم، بل الله الذي يملك جميع القوى والقدرات سيفتح لنا العالم كله. فينبغي ألا نقلق نظراً لبعض العراقيل والمشاكل، بل يجب أن نكون واثقين كل الثقة من تحقق وعود الله تعالى.

أعود الآن إلى الموضوع الرئيس. لقد وصلنا البارحة إلى موضوع: كيف تيسر للإنسان تزكية النفس وطهارة القلب؟ وما هي الذرائع التي تساعد المرء على تجنب الآثام عند بلوغه الحلم وتمكنه من الالتزام بأعمال البر والصلاح؟

الرد على هذا التساؤل هو كما يلي: إن الطباع الإنسانية أنواع، منها الأدنى ومنها الأعلى، فلا يمكن أن يصلح قانون واحد

عام لجميع الطبائع والسجايا، كما لا يمكن أن يفيد علاج واحد جميع المرضى، بل نرى أنه لا ينجع علاج واحد لجميع المرضى الذين أصيبوا بمرض واحد ناهيك أن يكون ناجعاً ومفيداً لجميع الأمراض والمرضى. لقد لاحظت أن بعضهم إذا أصيب بالنزلة فشرب القهوة فإنه يشفى منها خلال ساعتين، ولو تناول بعضهم اللبن الرائب الممزوج بالسكر نال الشفاء، ولكن بعضهم يحتاجون إلى نصح الأطباء ولا يشفون إلا بعد خضوعهم للعلاج عدة أيام، ولكن منهم من تختار عقول الأطباء في الكشف عن ماهية مرضه وسبب تعرضه له. خلاصة القول، تختلف أمراض الناس باختلاف طبائعهم، كما أن استعادة الصحة أيضاً تتعلق باختلاف طبائعهم وطرق علاجهم. نظراً إلى هذا الأمر سأبين لكم طرقاً لتجنب الذنوب. وأتناول أولاً الفطرة التي لم تلوث بصدأ الذنوب، وهي الفطرة التي لا تزال قادرة على استخدام العقل والاستمرار في الأعمال الصالحة.

ويجدر بالذكر ههنا أن الطهارة في الإسلام لا تعني أن يتفوه أحد بكلمات طيبة أو تصدر منه أعمال حسنة فحسب، بل طهارة القلب هي الطهارة الحقيقية، فلا يعدُّ طاهرًا عند الله تعالى من ليس بطاهرٍ من قلبه. فلو أن أحداً لا يرتكب إثماً مطلقاً ولكنه يجد في

قلبه حبًّا للسيئة، ويتلذذ بذكر الذنوب، فلا يمكن أن يُدعى صالحاً أو طاهرًا ما لم يضمّر في قلبه الكراهية والنفور من التلوث بالآثام كذلك. بعض الناس لا يشتمون عند الغضب، إلا أن قلبهم لا يفتأ يقول: فلان وقح وشرير، فلا يسعنا أن نقول عن مثل هؤلاء الناس إنهم طاهرون، بل سنقول عنهم إنهم يستبطنون القذارة. فإن الطهارة في الإسلام هي الطهارة القلبية، أما الأعمال واللسان فهي الأدوات والذرائع التي تظهر منها هذه الطهارة للعيان. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٥)، أي أن حالة القلب تخضع للمحاسبة سواء أبديتموها أم أخفيتم. ولقد ذكر الله تعالى ههنا نقطة عجيبة أن الحالة القلبية هي الأصل، وهي ما سيحاسب الله تعالى الناس عليها، أما اللسان والأعمال فهي تعبر عن هذه الحالة. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي إذا كان قلبكم يكنّ قذارةً فستؤخذون عليها ولو لم تعملوا أعمالا سيئة ولم تتكلموا كلاماً بذيئاً. يقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن ١٧)، أي يجب القيام بجميع هذه

الأعمال، وبالإضافة إلى ذلك يجب أن تطهروا أنفسكم أيضا لأن من يضمّر السيئة في قلبه فلا بد أن يتعرض للمؤاخذة.

بعد التوضيح أن الطهارة القلبية هي الطهارة الحقيقية أخبركم أن هناك ثلاث طرق تجعل الفطرة غير ملوثة بصدأ الذنوب، وهي:

١- أن يكون لدى الإنسان علم بالسيئات ومعرفة بالحسنات. إذ كيف لمن لا علم له بالحسنة أن يكسبها مهما حرّضه قلبه عليها؟ وأنى لمن لا علم له بالسيئة أن يجتنبها مهما دفعه قلبه نحو اجتنابها؟ فلا بد أن يعرف الإنسان ما يجب عليه فعله وما يجب عليه اجتنابه، لأنه ليس كافياً أن يتحلى أحد بقوة لفعل شيء أو لاجتنابه دون أن يعرف ما يجب عليه فعله. على سبيل المثال يرغب أحد في أن يُفرح صديقه، ولكن إن لم يخبره هذا الصديق عما يفرحه فلا يستطيع أن يحرك ساكنا. فاكتساب الإنسان العلم بالسيئات والحسنات هو ما يجب القيام به أولاً.

٢- يجب أن يعرف مواقع اجتناب السيئات والعمل بالحسنات. على سبيل المثال إذا قلتُم للخادم أن ينقل أثاثاً إلى داخل البيت، وهو مستعد للعمل، ولكنه

إن لم يعرف مكان كل شيء فسيضع الطاولة مكان الكرسي أو العكس. هذه هي حال ذلك الشخص الذي لا يعلم مواقع اجتناب السيئات واكتساب الحسنات، فلا بد من العلم بالمحل المناسب لهما.

٣- يجب أن يعرف السيئات التي هو واقع فيها والتي يريد أن يتخلص منها. وأنى له أن يعالج نفسه ما لم يعرف هذا الأمر؟ فلا بد أن يعرف الإنسان السيئات الموجودة في نفسه قبل البدء في المعالجة الروحانية لها واجتنابها، كما لا بد أن يعرف الحسنات التي يشعر بالنقص فيها، وذلك لكي يتمكن من اكتسابها وتدارك هذا النقص. فلو كان قلب أحد يخلو من الصدأ والظلمة والصدود فسيصبح صالحاً بعد معرفة الأمور المذكورة. فلا يسع أحداً معالجة نفسه ما لم يعرف نقاط ضعفه، ولكن إذا علمها في إمكانه معالجة نفسه بكل سهولة.

والآن أشرح هذه الأمور الثلاثة البارزة بشرح مقتضب. فأبدأ بضرورة علم الإنسان بالسيئات والحسنات. لقد لاحظت أن كثيراً من الناس يتمتعون بقوة ليصبحوا صالحين ولكنهم لا

يعلمون شيئاً عن السيئات والحسنات. ولقد رأيت كثيراً من الرجال والنساء يقولون: هل تروننا نفسق أو نفجر؟ وهل نمارس الظلم؟ أنأكل أموال الناس؟ أو نكذب ونزني؟ إذا لم تكن فينا كل هذه الموبقات فما هي السيئة التي تجدونها فينا؟ وكأنهم يظنون أن مَنْ ليست فيهم هذه العيوب التي عدّوها فلا عيب فيهم البتة. ويعتبر الناس هذه العيوب الخمسة عيوباً شرعية وليس هناك من عيب غيرها في رأيهم، في حين أن هناك سلسلة طويلة من العيوب التي يصل عددها إلى المئات، ولا يسمح لي الوقت في هذا المقام بالتطرق إلى ذكرها، كما أن بعض العيوب تفوق علم الإنسان. ولم يكن في العالم إنسان يعلم علماً كاملاً عن العيوب كلها سوى سيدنا محمد ﷺ. لا شك أن الناس الآخرين أيضاً يُطلعون على العيوب ولكن لم ولن يعلم بها أي إنسان كما كان الرسول الكريم ﷺ يعلم بها.

لقد رأيتني مرة في الرؤيا أقول لأحد أصدقائي: عدم ممارسة الرياضة أيضاً إثم. ولكن لا نستطيع أن نعتبره إثمًا بشكل عام، إلا أن الذي تتوقف على حياته حياةً مئات ألوف من الناس فلا شك أنه سيرتكب إثمًا إن لم يكثرث بصحته. هل يمكن أن يكون في العالم أشجع من سيدنا محمد ﷺ؟ ولكن كان

الصحابة يحرسونه ويحرسون مسكنه أثناء الحرب. وربّ قائل يقول كان النبي ﷺ يقدم حفاظة نفسه على نفوس الآخرين، إلا أنه كان ضرورياً جداً لأن حياة العالم كله كانت منوطة بحياته ﷺ، فلولاه لما انتشر الإسلام في العالم. وعليه فإن راحة بعض الناس واهتمامهم بصحتهم حسنة أيضاً، وعدم الاهتمام بها إثم. ورد في أحد الكتب قول للشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله عليه: إني لا آكل الشهي من الطعام ولا ألبس الغالي من الثياب ما لم يرغمني الله على ذلك مستحلفاً بذاته.³⁰ فمن بلغ هذه الدرجة السامية، لا يقوم بأي عمل إلا لله تعالى، لذلك يقول له الله تعالى: إذا كنت لا تريد القيام بهذا العمل لنفسك فاعمله من أجلي، فيقوم به لمرضاته ﷺ.

باختصار، هناك دركات كثيرة للآثام والسيئات وتختلف باختلاف حالات الإنسان، ويشير الصوفيون إلى ذلك في قولهم: "حسنات الأبرار سيئات المقربين"³¹.
والآن أشرح السيئات بشكل مقتضب.

³⁰ قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، تأليف الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي ص ٣٦ مطبعة العثمانية بمصر ١٣٠٣هـ. (الناشر)

³¹ تشييد المباني في تخريج أحاديث مكتوبات الإمام الرباني، ص ٣٤. (الترجم)

- أولاً: السيئات الذاتية، أي التي تؤثر على نفس الإنسان.
- ثانياً: السيئات التي تتعلق بالآخرين، أي أنها لا تؤثر في ذات الإنسان فحسب بل يشمل تأثيرها الآخرين أيضاً.
- ثالثاً: السيئات القومية، أي التي تعتبر سيئاتٍ على المستوى القومي والاجتماعي.
- رابعاً: السيئات التي يرتكبها الإنسان بحق الله تعالى.
- ومقابل الأنواع الأربعة للسيئات هناك أنواع أربعة للحسنات أيضاً، وهي:
- ١- الحسنات الذاتية، أي التي تؤثر على نفس الإنسان.
 - ٢- الحسنات التي تتعلق بالآخرين، أي أنها لا تؤثر في ذات الإنسان فحسب بل يشمل تأثيرها الآخرين أيضاً.
 - ٣- الحسنات القومية، أي التي تعتبر حسنات على المستوى القومي والاجتماعي.
 - ٤- الحسنات التي يكتسبها الإنسان تجاه الله تعالى.

والآن أتناول ذكر تلك السيئات التي هي سيئات ذاتية، وأسرد لكم قائمة تلك السيئات البارزة حتى تتولد فيكم قوة على اجتنابها كلما خطرت ببالكم، علماً أن سواها من السيئات لا يكتشف إلا بإلهام من الله تعالى.

١- التكبر: وهو أن يرى المرء نفسه عظيماً. فلو ظن أحد في نفسه أنه شخصية كبيرة حتى ولو لم يظهر ذلك للآخرين، فإن ظنه هذا يحول دون تطهيره نفسه وزكاتها.

٢- الخسة والدناءة والانحطاط: وهي التجول في الأسواق والجلوس فيها بلا عمل، وممارسة المهن الخسيسة. إنها أيضاً سيئة من سيئات النفس التي تحول دون نيل الرقي ما لم يغير أحد حالته أو مهنته.

٣- التسرع والعجلة: وهي الإقدام على عمل ما بلا تفكير وروية، وهو يضر كثيراً بصاحبه.

٤- سوء الظن: وهو التفكير السيئ عن الآخرين أنهم كذا وكذا، فإنه إثم أيضاً ولو لم يُبح به أمامهم حتى مماته.

- ٥- الحب غير الشرعي: إنه سيئة أيضا حتى ولو أضمره في قلبه دون أن يخبر الآخرين.
- ٦- الحقد: وهو أن يتمنى في قلبه الإضرار بالآخرين ولو لم يفعل ذلك بشكل عملي.
- ٧- الجبن: من الإثم أن يتولد في قلب الإنسان الجبن سواء أظهره أم لا.
- ٨- الحسد: وهو تمنى أحدكم زوال النعمة عن الآخرين وحصوله عليها.
- ٩- قلة الصبر: وهو انهيار الإنسان عند المصائب وعدم تمكنه من أداء الواجب المفروض عليه.
- ١٠- قصر الهمة والعزيمة: وهو عدم تشجع الإنسان على تحقيق أهداف كبيرة والاقتصار على أهداف صغيرة تافهة. تؤدي هذه السيئة إلى دمارٍ عظيم، وهي ما يسبب كارثةً للملوك والأمراء، لأن قصر همتهم وعزيمتهم ينعكس على رعاياهم أيضا فيصبحون أمثالهم.
- ما أروع ما قاله سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في بيت شعر بالأردنية:

تیرے منہ کی ہی قسم میرے پیارے احمد

تیرے بڑھنے سے قدم آگے بڑھایا ہم نے^{۳۲}

ومعناه: بوجهك يا حبيبي أحمد ﷺ... وبتقدمك قد
أحرزنا الأجد. أي كلما تقدمت أنت تقدمنا نحن أيضا
معك. فإن قصرَ الهمة والعزيمة إثمٌ سواء كان في الأمراء
أو في عامة الناس.

۱۱- التملق: هو كلام يتكلم به البعض لكسب رضى
الآخرين. تكثر هذه السيئة في خدم الأمراء.

³² لقد حصل هنا سهواً الخلط بين بيتين من قصيدة سيدنا المسيح الموعود
عليه السلام، إذ أخذ الشطر الأول من بيت والثاني من بيت آخر والصحيح كالتالي:

تیرے منہ کی ہی قسم میرے پیارے احمد

تیری خاطر سے یہ سب بامراتھایا ہم نے

ہم ہوئے خیر امم تجھ سے ہی اے خیر مرسل

تیرے بڑھنے سے قدم آگے بڑھایا ہم نے

ومعناهما:

بوجهك يا حبيبي أحمد ﷺ، لقد تحملت كل هذه الأعباء الثقيلة من أحلك
أنت ولقد صرنا خير الأمم باتباعنا لك يا خير الرسل، ولقد خطونا نحو الأمام مع
تقدمك أنت. (المترجم)

- ١٢- نكران الجميل: وهو ألا يكون في القلب أدنى احترام وتقدير للطف الآخرين وأيادهم.
- ١٣- عدم المثابرة: وهو أن يبدأ المرء عملاً ما ثم يتركه قبل إتمامه.
- ١٤- الكسل: وبسببه لا يقوم المرء بأي عمل من الأعمال.
- ١٥- الغفلة والإهمال
- ١٦- إنكار الحق
- ١٧- فقدان الشجاعة للاعتراف بالحق
- ١٨- الإفراط في الدلال: وهذا يعني أن يميل إلى الدلال الزائد من لا يليق به ذلك، أو يتدلل لدرجة لا يعود صالحاً للقيام بأي عمل من الأعمال.
- ١٩- الجهل: أي عدم تلقي العلم.
- ٢٠- الحرص والجشع: يعتبر الوقوع فيه من السيئة أيضاً.
- ٢١- الرياء: وهو أن يقوم بعمل ما للتباهي وإظهاراً للناس.
- ٢٢- سوء النية: وهو تمنُّ للإضرار بالآخرين.

٢٣- قصر المهمة: وهو ترك العمل لدى الشعور بشيء من الصعوبة، وهي سيئة موجودة في الأمراء.

٢٤- حب الشر: من الإثم أيضا ألا يكره المرء الإثم عند رؤيته له.

٢٥- استخدام المسكرات والمخدرات أيضا من السيئة، بما فيها الخمر والأفيون والقات والنشوق والشاي والنجيلة وغيرها.

تستخدم بعض الأشياء كالأطعمة والأغذية والمشروبات كالشاي مثلا يوميا، فلو اعتادها الإنسان بحيث يضر تركها بصحته، فلا بد أن استخدامه بهذا الشكل سيئة أيضا، لأنه لو اضطر للذهاب إلى بعض المناطق النائية للتبليغ فيها، فلا بد أن يأخذ معه ما يلزم لصنع الشاي، ولو فعل ذلك وحاول صنع الشاي فسيكون ذلك ثقلاً يعرضه لمشاكل كثيرة. بما أن الإسلام يريد من كل مسلم أن يكون جندياً في سبيل الله تعالى، وإذا طلب منه أن يتوجه إلى منطقة من المناطق فعليه أن يتوجه فوراً، لذلك يمنع الإسلام من مثل هذه العادات التي تحول دون تحقيق هذه المطالب. لقد ذكرت مراراً أن أحد الأفيان

كان مسافراً حين انتهى عنده النشوق الذي كان يتعاطاه، فتوجه إلى أحد الأشخاص وأخذ يتوسل إليه في تواضع وإلحاح قائلاً: هل عندك شيء من النشوق؟ فلم أتمالك نفسي وقلت: الرجل الأفغاني لا يخضع رقبته لأحد إلا أن الإدمان جعله يخضع رأسه أمام هذا الكشميري.

يأتي ههنا أيضاً بعض الناس الذين يتعاطون النرجيله إلا أنهم يجرمون أنفسهم من فوائد كثيرة بسبب هذا الإدمان. كان أحد أقارب المسيح الموعود عليه السلام أشد المعارضين له، فدأب على إضلال الكثيرين الذين يأتون للقاءه. فكان هذا الشخص يضع النرجيله ثم يجهز مجلساً من عدة أسرة في باحة داره، فإذا كان أحد الوافدين من المدمنين على النرجيله جلس عنده وأصبح عرضةً لمحاولة الإضلال التي يبدأ بها قريبُ المسيح الموعود عليه السلام قائلاً: إن لنا قرابة معه، ونعرف أحواله أكثر منكم فلو كان هنالك ما يدعو إلى الإيمان لآمنا به، فكانت محاولته هذه عثرة لبعض الضعفاء. ففي إحدى المرات جاء أحد الأحمديين وجلس عنده ليدخن النرجيله. فأخذ هذا

القريب يُسمعه كلامًا ضد المسيح الموعود عليه السلام، فلما رآه مصغياً بصمت مطبق بدأ بشتم المسيح الموعود عليه السلام أيضاً، إلا أن الأحمدى ظل صامتاً دون أن ينس بنت شفة، فسأله في نهاية المطاف ضجرًا: فيم تفكر؟ ولماذا لا تتكلم بشيء؟ فأجاب الأحمدى: ألوم نفسي إذ أُلجأني إدماني على تدخين النرجيلة إلى المجيء إليك، فلو لم آت إلى هنا لما اضطررت لسماع ما أكرهه من كلام ضد المسيح الموعود عليه السلام.

وبالمناسبة أذكر ههنا - كما نبهت إليه مرات عديدة أيضا - أن الإدمان على النرجيلة عادة قبيحة، كما أن المخدرات الأخرى أيضا بالغة الضرر، فلا بد من الإقلاع عنها. تولد بعض المخدرات عادة الكذب عند المدمنين عليها، لا أذكر أسماء هذه المخدرات حتى لا ينتشر سوء الظن عن متعاطيها المعروفين في المجتمع، إلا أن الحق أن بعض المخدرات تؤثر على الأعصاب تأثيراً سلبياً خاصاً، لذلك يجب على الإنسان أن يجتنب جميع أنواع المخدرات والمسكرات.

لستُ بفضل الله تعالى معتاداً على شيء. ففي فترة طفولتي ظلّوا يعالجونني من مرض بالأفيون لفترة تقارب ستة أشهر، وذات مرة نسوا إعطائي جرعة منه، ومع ذلك لم تكن هناك أدنى ردة فعل مني كما أخبرتني أمي. فلما لاحظ المسيح الموعود عليه السلام هذا الأمر قال: لا تعطوه الأفيون بعد الآن فقد أنقذه الله تعالى من استخدامه. ومع أنني لا أتأذى أبداً عند امتناعي عن تناول أي شيء داومت على استعماله مدة من الزمن، إلا أنني أترك أحياناً شرب الشاي الذي يستخدم في بيوتنا الآن مع الفطور، وأفعلُ ذلك حتى لا أعتاده. فعلى المؤمن ألا يعتاد شيئاً إلى حد الإدمان، لأنه سيئة أيضاً.

٢٦- ازدراء الآخرين.

٢٧- العداة القلبي. لو أضمر أحد عداةً في قلبه فإنه أيضاً سيئة، حتى ولو لم يظهره طوال حياته.

٢٨- عدم الثقة بالآخرين، وهو الإحجام عن تفويض المهام للآخرين.

٢٩- الطمع، وهو أيضاً سيئة تتعلق بالقلب.

- ٣٠- الحزن الكثير سيئة أيضا. وهو يعني أن يحزن الإنسان كثيراً لدرجة يضرّ بقدراته العملية.
- ٣١- الفرح الكثير أيضا سيئة.
- ٣٢- التدخل فيما لا يعنيه. من السيئة أيضا التدخل في أمور لا علاقة للإنسان بها.
- ٣٣- الهذر، وهو الإفراط في الثثرة. فإذا كان أحد يثرثر كثيرا فلا بد أن يتكلم بلا تفكير.
- ٣٤- قسوة القلب، من السيئة أن يكون الإنسان عديم الرحمة.
- ٣٥- التلذذ بتأذي الآخرين.
- ٣٦- الإسراف
- ٣٧- الانتحار
- ٣٨- الكذب الذي لا يقصد به الإضرار بأحد. فهناك بعض الناس يمارسون الكذب دون أن يقصدوا منه جني نفع أو فائدة لهم.
- وإليكم الآن تلك السيئات التي يتعدى أثرها إلى المخلوقات الأخرى. وهي على نوعين
أولا: التي تتعلق بالبشر

ثانيا: التي تتعلق بالمخلوقات الأخرى من غير البشر.

بعث أحد الإخوة الحاضرين سؤاله الآن:

كيف يمكن الإقلاع عن النرجيلة؟

إن الإقلاع عن الأفيون أصعب من الإقلاع عن النرجيلة. كان أحد الأصدقاء مدمنا على تناول الأفيون منذ سنوات طويلة. فلما أراد الإقلاع عنه قال له الطبيب: سوف تموت إذا تركته الآن، إلا أنه تركه، فلا شك أنه ظل يعاني حالة صعبة لبضعة أيام ولكن تحسنت صحته بعد ذلك. سأذكر لاحقا بعض الطرق الأخرى للتخلص من المخدرات، أما الآن ما أستطيع قوله بدون الخروج عن الموضوع هو: تشجّع وشُدِّ همتك وأقلع عنه وستنجح.

وإليكم الآن تلك السيئات التي لها علاقة بالبشر:

- ١- سوء الأدب، من السيئة عدم احترام المرء وتقدير من يجب عليه احترامه.
- ٢- الحب غير الشرعي
- ٣- الجحود، وهو أن تستعين بالآخرين عند حاجتك إليهم وترفض مساعدتهم إذا احتاجوا إليك.

٤- الحماقة أو السخافة، وهي أن يكون الإنسان سريع الغضب، ويقوم بإشارات غير لائقة، ويهب فوراً لمعاقبة الآخرين. لقد ذكرت مراراً قصة تاجرَيْن من قاديان حيث كان أحدهما يكيل للآخر الشتائم، وكان الثاني يقول للأول: سأشجّ رأسك إذا شتمتني مرة أخرى. فلو كان جاداً في تهديده لشجّ رأسه عند الشتمة الأولى، فلم يكن ثمة داع لمطالبته بالثانية. على أية حال، ظل يردّد قوله: سأشجّ رأسك إذا شتمتني مرة أخرى، والآخر أيضاً لم يكن يتلفظ بأية شتيمة إلا أنه كان يكرر قائلاً: سوف أشتمك مئة مرة. كنت آتئذ طفلاً في الثامنة، ووقفت أنظر إلى هذا المشهد، إلا أن الأول لم يشتم ولم يشجّ الثاني رأسه، بل قصد كل واحد محله بعد قليل دون أن تظهر أية نتيجة لهذا الشجار، ولكن قبل الدخول إلى المحل عاد أحدهما وشم الآخر، فرد عليه الثاني بقوله: سألقنك درساً إذا شتمتني مرة أخرى، ثم استمرت هذه التمثيلية على النحو المذكور لبعض الوقت. هذه هي السخافة أو الحماقة والانحطاط وهي علامة الجبن أيضاً. كذلك من السخافة الإفراط في

المعاقبة والتذمر والصراخ الشديد عند التعرض للأذى الصغير.

كنت قد منعت الإخوة من أن يطرحوا عليّ الأسئلة أثناء الخطاب، ولكن نظراً إلى أهمية هذا الموضوع أرى أن أردّ على بعض أسئلتهم، يسأل أحد الإخوة: ما هي المهن المشينة؟ إنه بسؤاله هذا يريد أن يجرني إلى الجدل العقيم الذي لا طائل منه ولا أُرغب الدخول فيه، إلا أنني لا أريد أن أمتنع عن الرد على سؤاله أيضاً فأقول له: إن المهن التي تعيق تدرج الإنسان من حالته الراهنة إلى حالة أرقى منها هي مهن مشينة أو رذيلة.

هناك سؤال آخر: هل يُقبل في نظام الوصية المدمن على النرجيلة أم لا؟

هذا السؤال معقد فلا أردّ عليه الآن.

وهناك سؤال آخر: ما الفرق بين الطمع والحرص؟ والرد عليه كما يلي: الطمع أن يتطلع الإنسان إلى غيره ويتوقع منه الحصول على شيء معين. أما الحرص فهو رغبته في الحصول على شيء معين من أي مكان كان.

٥- الشتم، وهو ما يعتبره الناس في كل مكان سيئة. ولكن هناك عادة قبيحة في البنجاب حيث يقول الآباء لأولادهم اشتموا فلانًا فإذا فعلوا أخذوا يضحكون، فكأن جُلَّ همهم هو شتم الآخرين، ولقد رأيت ذلك بأم عيني.

٦- لعن الآخرين.

٧- الدعاء على الآخرين، لقد فرقت بين إلقاء اللعنة والدعاء على الآخرين، وهو أن الدعاء على أحد يتعلق بالحالة الجسدية، أما اللعنة فتتعلق بالروحانية، على سبيل المثال إذا قال أحد ليمت فلان، فهو دعاء عليه، أما إذا قال: اللعنة على فلان فيقصد بذلك أن يتنجس قلبه. وأستثني من ذلك تلك اللعنة التي تكون إظهارا للواقع وإنها تكون من قبل النبي، فلا تكون مثل الدعاء على أحد، بل هي عبارة عن إفصاح أن قلب الملعون قد تنجس.

٨- الخيانة، وهي أن يودع إليك أحد أمواله فلا تردّها، أو لا تردّها كاملة.

٩- إفشاء السرّ، وهو إذا عثر أحد على سرّ أحد أفشاه بين الناس وكشفه. قد لا يكون إفشاء السر سيئة في بعض الأحيان. مثلاً إذا كان هذا السرّ يؤدي إلى إلحاق ضرر بالآخرين فإطلاعهم على هذا السر ليس عيباً حتى يتجنبوا الضرر المحدث بهم. مثلاً لو علم أحد أن فلاناً يستبطن نية لقتل زيدٍ. فليست سيئة إن أخبر بذلك زيداً، بل إن إخفائه يكون سيئة. كذلك فمن علم أن أحداً يحيك المكائد ضد الحكومة أو يسعى للتشويه بسمعتها أو لإلحاق الأضرار فعليه أن يبلغ المسؤولين في الحكومة.

١٠- النميمة

١١- لقاء الآخرين بفتور ودون بشاشة لأن ذلك يؤثر سلبياً على قلوب الآخرين، ويؤدي إلى قطع أواصر المحبة.

١٢- المحاباة، مثلاً لو تشاجر اثنان فأيدتَ موقف أحدهما لمجرد أنه صديقك.

١٣- المخادعة

١٤- البخل

١٥- الظلم

١٦- نكران الجميل، أي أن تنكر منّة أحدٍ فتقول لا

منّة له عليّ قط.

١٧- التنجس والتدنس

١٨- الغفلة

١٩- المشاجرة

٢٠- الفساد، وأترك شرحه لأن الناس يعرفون هذه

الأمور.

٢١- الصراخ وإثارة الصخب: ويشمل إثارة

الصخب والضجة في الأسواق أو رفع الصوت كثيراً

حول أمور تافهة خلال اجتماع الناس. إن التشويش

على الناس المنشغلين في أعمالهم عيب كبير. لقد رأيت

أهل أوروبا يولون هذا الأمر اهتماماً كثيراً إذ يسكتون

فور سكوت من يجاورونهم حتى لا يزعجهم بأصواتهم.

٢٢- إيذاء الآخرين

٢٣- الإكراه والجبر

٢٤- قطع الطرق

٢٥- القتل

٢٦- السرقة، كنت أنتظر أن يصلني سؤال عن هذا الأمر فبلغني الآن ويقول أحد الإخوة أن بعض الناس يسرقون أشياء أصدقائهم مداعبةً، وهذه عادة في بعض القرى، إلا أنه عيب وسيئة.

٢٧- الضرب

٢٨- التفاخر الزائف

٢٩- بهتان الآخرين

٣٠- الغيبة

هناك فرق بين الغيبة والنميمة، فالغيبة هي ذكر عيوب الآخر بين الناس بقصد إذلاله وإهانته، أما النميمة فهي نقل كلام أحد إلى غيره بقصد الإفساد والمشاجرة.

٣١- الطعن

٣٢- اتهام الآخرين

٣٣- التحقير وإهانة الآخرين

٣٤- التنازع بالألقاب، وهذا الأمر شائع في بلادنا.

٣٥- الاستهزاء، وهو السخرية بالناس من أجل ذلهم

وإهانتهم

- ٣٦- استفزاز الآخرين بتقطيب الوجه وتعبسه.
تكثر هذه السيئة في الأولاد والنساء خاصة.
- ٣٧- حياكة المكائد، أي التفكير في إيجاد طرق للإضرار بالآخرين.
- ٣٨- التعذيب، أي إيذاء الناس بدل قصاص ما صنعوا بطريقة حكيمة.
- ٣٩- إظهار الغضب
- ٤٠- شدة الانتقام، يعني الانتقام أكثر من اللازم.
- ٤١- أخذ الرشوة
- ٤٢- إعطاء الرشوة
- ٤٣- أخذ الربا
- ٤٤- إعطاء الربا
- هذه هي السيئات البارزة التي تتعلق بالناس الآخرين.

والآن أذكر تلك السيئات التي تتعلق بالمخلوقات الأخرى
غير البشر.

١- أكل الأطعمة الكريهة الرائحة، ولقد قال
الرسول ﷺ إن الأطعمة ذات الروائح الكريهة تؤذي
الملائكة فلا تأتي إلى آكلها.

٢- تربية الكلب في البيت دونما داع له، ولقد قال
الرسول ﷺ: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب^{٣٣}.
والآن أذكر لكم تلك السيئات التي تتعلق
بالحيوانات:

١- ضرب الحيوانات دونما سبب.
٢- إرهاب الحيوان بالعمل، يعتاد الفلاحون ارتكاب
هذه السيئة، فإنهم يرهقون الحيوان بالعمل ويظلمون
يستخدمونه على هذا النحو حتى إذا لم يصلح للعمل
وقرب أن يموت باعوه للجزارين. ليس قصدي عدم
جواز ذبح مثل هذا الحيوان بل الذي لا يجوز هو

استخدامه بشكل لا يبقى صالحاً للعمل جراء الإرهاق والأذى المستمر.

٣- الإقلال من علف الحيوانات والإكثار من استخدامها في العمل. والغريب أن الفلاحين لا يرتكبون هذه السيئة أبداً، إنما يقع فيها غيرهم. أما الفلاحون فقد لوحظ أنهم يتحملون الجوع بأنفسهم ولا يتأخرون عن تأمين العلف للحيوانات. بل يُعجبني قولهم في أيام القحط حيث لا يقولون: لم يبق لنا شيء للأكل، بل يقولون: لا نجد علفاً للحيوانات.

٤- عدم معالجة الحيوان المريض.

٥- تعذيب الحيوانات ووسمها، لقد رأى النبي ﷺ مرة حماراً في وجهه علامة الكي فنهى عن ذلك لأن الوجه شديد الإحساس، فإذا كان لا بد من الكي فيمكنكم أن تفعلوه على الظهر.^{٣٤}

٦- عدم حماية الحيوانات من الطقس الحار أو البارد جداً.

³⁴ سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن الوسم في الوجه والضرب في

٧- عدم الاهتمام الواجب بالمتطلبات الجنسية للحيوانات. إن الحيوانات تملك قوى كالشعر، منها القوة الجنسية، فلا بد من العمل لإشباع متطلباتها الجنسية أو معالجتها ببعض الطرق المناسبة.

٨- إيلاؤها بسبب أولادها، وهذا يعني ذبح أولادها أمام عيونها أو تركها جائعة أو تعذيبها بأي طريق آخر.
والآن أذكر النوع الثالث من السيئات وهي التي تؤثر على المجتمع والجماعة أو القوم.

١- إشاعة الفحش، فلو كان أحد ينشر في الناس أن فلاناً كاذب فلا تتعلق هذه السيئة بهذا الشخص فحسب بل تتعلق بالمجتمع والقوم كله، لأنه إذا أعلن في قوم أن فيهم كاذبين فإن ذلك يقلل من قبح الكذب وشناعته عندهم فتنتشر هذه السيئة فيهم. أرى أن إشاعة الفحش انتحار للقوم.

٢- الأنانية، فلو تصادمت منافع أحد مع المنافع الاجتماعية فراعى حماية مصالحه ومنافعه وتغافل عن المصالح الاجتماعية فإنه يرتكب سيئة اجتماعية أو قومية في هذه الحالة.

- ٣- الفسق والفجور، كالدعارة أو شرب الخمر علناً.
- ٤- التغافل والتكاسل في أداء الواجبات القومية.
- ٥- إهمال تربية الأولاد.
- ٦- عدم الاكتراث بتعليم الأولاد، فمن لا ينتبه إلى هذا الأمر فإنه يريد أن يدمر القوم كله لأن أولاد اليوم هم أمة الغد.
- ٧- النجاسة، وقد ذكرت فيما سبق أيضاً في سياق أن الرائحة الكريهة من الناس تؤذي الآخرين، أما هنا فذكرتها لأنها تؤدي إلى نشر الأمراض في المجتمع والقوم فتسبب دماراً لهم.
- ٨- انعدام الشعور بالمسؤولية، وهو أن لا يشعر الإنسان بمسؤوليته في أداء الواجب المفروض عليه.
- ٩- عدم التحلي بالقوة اللازمة لمقاومة الشعور بالقصور في أداء المسؤولية التي يؤدي عدم أدائها إلى الخسارة. سواء حصل القصور خطأ أم عمدًا.
- ١٠- التمرد والعصيان

بعث أحد الإخوة اقتراحه قائلاً: يجب على أفراد الجماعة الاحتراز من استخدام الكلمات القاسية والكلام الجارح ضد معارضيهما.

وكنت أريد أن أتكلم بهذا الخصوص مسبقاً والآن بهذه المناسبة أقول مختصراً أن هذا الأخ نبه خطباء الجماعة ووعاظها إلى عدم استخدام الكلمات القاسية ضد معارضيتهم. وإني أؤكد الأمر نفسه وأقول: لن تروا مثل هذه الكلمات الجارحة في كتاباتي، أفلا يُحزنني سبّ المعارضين للمسيح الموعود عليه السلام وكلامهم البذيء؟ لا شك أنه يؤلمني إلا أنني لم أردّ على الكلام الجارح بالمثل. وهنا يقدم بعض الإخوة مقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام، ولكن يجب أن يتذكروا أن المسيح الموعود عليه السلام قد بُعث حَكَمًا، وكان من واجبه أن يطالع الناس على حقيقتهم، أما نحن فلسنا في مقامه. إن الكلام القاسي وشتم الناس يدل على ضعف النفس. يمكن أن يرضى بعض الناس بكلامهم اليوم ولكن عندما يقرأ أولادهم هذه الكتابات غدًا فسيتمنون ألا يكون أبوهم أو جدّهم قد فعل ذلك، لأنهم سيقرونها بقلب

هادئ في معزل عن كتابات المعارضين فلن يحتدّ طبعهم،
وبالتالي فسيخفون عن الناس هذه الكتب والجرائد
المحتوية على مثل هذه الكلمات القاسية والجارحة.

١١- عدم التحلي بخلق الضيافة، وهي السيئة التي
تؤثر على المجتمع.

١٢- الخداع في التجارة أيضا من السيئات التي
تؤثر سلباً على المجتمع.

ورد في الحديث الشريف أنه بينما كان النبي الكريم
ﷺ يعظ بين الناس بدأوا يسألونه واحد تلو الآخر، فلم
يعجب ذلك النبي فقال ساخطاً ما معناه: اسألوا ما
تريدون، وسأترك الوعظ الآن وأجيب على أسئلتكم عن
كل شيء بدءاً من زمننا الحالي وحتى يوم القيامة^{٣٥}.
وهكذا أقول لكم الآن أنا أيضاً، لأن الأسئلة تتوالى
عليّ، فهل أترك خطابي وأبدأ بالرد على الأسئلة؟ لم
أكمل سوى ٣٥ صفحة من ملاحظات هذا الموضوع
الذي أردت بيانه أمامكم ولا تزال ٢٥ صفحة باقية، فلو

35 انظر: مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله...

شرعت بالرد على الأسئلة ما تمكنت من إكمال الموضوع.

فكنت أذكر أن الخداع في التجارة أيضا سيئة اجتماعية لأنه يؤدي إلى القضاء على ثقة القوم. لما سافرت إلى كشمير أجريت تحقيقا في انخفاض نسبة تجارة الفضة والشالات^{٣٦}، فأتضح لي أنها كانت تبلغ عشرة ملايين روبية سابقا ولكنها بسبب خداع الناس انخفضت الآن إلى مليون وسبع مئة ألف روبية فقط.

١٣- الاعتراض على المسؤولين في نظام الجماعة عند أناس لا علاقة لهم بالموضوع.

١٤- الإشهار بسيئات القوم دون ذكر اسم أحد، مثلا: يقول أحدهم: نحن خدّاعون جدًّا، فإن هذا التصرف يؤدي إلى تفشي هذه السيئة في القوم كله.

١٥- الامتناع عن تقديم المساعدة من أجل الأهداف القومية والاجتماعية.

³⁶ "الشال" الكشميري - الذي يعرف أيضاً بـ"البشمين" - رداء من الصوف يتميز بنعومته وخفة وزنه. (المترجم)

١٦- مصادقة من يهدف إلى الإضرار بالأمة.

١٧- عدم التعاون مع المسؤولين في الحكومة أو الجماعة.

١٨- قلة الطاعة

والآن أذكر لكم تلك السيئات التي يرتكبها الإنسان بحق

الله تعالى:

١- حلف اليمين دون سبب. يمكن للإنسان أن يحلف يميناً أمام الحاكم في قضية هامة تقتضي ذلك، ولكن الحلف دونما داع استخفاف باسم الله تعالى.

٢- اليأس المميت، بحيث يفكر أحد أن مشاكله لن تُحلَّ بحال من الأحوال. ولا يتولد مثل هذا اليأس إلا نتيجة إساءة الظن بالله تعالى.

٣- حشو القلب برجس الأفكار. لقد خلق الله تعالى قلب الإنسان ليجعله بيتاً له، لذلك يُدعى القلب بيت الله، ومن يفسد قلبه فكأنه يمنع الله تعالى من دخول هذا البيت.

٤- إنكار أحكام الشريعة.

٥- المعتقدات الباطلة كالشرك وغيره.

- ٦- إنكار المعتقدات الحقّة كإنكار وجود الله تعالى والملائكة والرسل والإلهام والجنة والنار.
- ٧- مخالفة أحكام الشريعة المتعلقة بالعبادة أو الحياة الاجتماعية، كترك الصلاة والامتناع عن أداء الحج، ورفض العمل بأحكام الميراث، وعدم التقيد بالأخلاق، لأنه إذا كان الله تعالى قد نسب هذه الأحكام كلها إلى نفسه فإن مخالفتها تنير سخط الله تعالى، كما أن عدم المبالاة بهذه الأحكام يسبب أذى للناس أيضا.

٨- قلة حب الله تعالى.

٩- الإساءة إلى الله تعالى ورسوله.

- ١٠- بالإضافة إلى ما سلف فكل سيئة يرتكبها الإنسان بحق العباد يُعتبر ارتكابها بحق الله تعالى أيضا، فعدم الشكر مثلا يتعلق بالناس، ويمكن أن يتعلق بالله تعالى أيضا، وما إلى ذلك من أمور أخرى.

والآن أذكر أنواع الحسنات وأبدأ بالحسنات الذاتية.

١- الشجاعة والبرسالة

٢- النشاط

- ٣- التعلم والدراسة
- ٤- التواضع
- ٥- الغيرة، وهي أن يكره الإنسان منكراً إذا رآه
حادثاً أمام عينيه.
- ٦- الشكر
- ٧- حسن الظن
- ٨- الإخلاص القلبي
- ٩- الجدّ، أي شيمة الاجتهاد في العمل
- ١٠- الحياء
- ١١- الرحمة، أي الشعور بمعاناة الآخرين ومواساتهم
- ١٢- المداومة على البر والحسنة
- ١٣- الوقار والحشمة.. أي عدم تقليد الآخرين في
أمور لا جدوى منها. يكثر في بلادنا هذا العيب أنهم
يقلدون الإنجليز في كل شيء.
- ١٤- العزيمة العالية
- ١٥- الصبر
- ١٦- حرية الضمير.. أي عدم اتباع الآخرين
عشوائياً دونما سبب.

- ١٧- الشكر من القلب.. أي الشعور بمنة الآخرين وإحسانهم.
- ١٨- إحقاق الحق.. أي تحري الحق والصدق.
- ١٩- الاعتراف بمميزات الآخرين.
- ٢٠- الرأفة، الفرق بين الرأفة والرحمة هو أن الرحمة هي رقة القلب عند رؤية مصائب الآخرين والاندفاع لمساعدتهم، أما الرأفة فهي الشعور بأحزان الآخرين وآلامهم.
- ٢١- قوة الدفاع عن الحق. قد يعفو أحد عن غيره، وهكذا يتخلى عن المطالبة بحقه، وقد يهمله فلا يطالب به كسلاً منه، إلا أنه ينبغي ألا يترك المطالبة بحقه خوفاً من أحدٍ.
- ٢٢- قوة التسابق في الخيرات
- ٢٣- عدم الخضوع للهزيمة.. أي يجب أن لا تخضع نفسه للهزيمة، ولو خسر مرات كثيرة. هذا لا يعني أنه يجب ألا يعترف بالهزيمة بلسانه، بل المراد منه ألا يرضى بها بل يسعى جاهداً لإزالة آثارها.
- ٢٤- التيقظ التام، أي ألا يغفل عن عدوه.

- ٢٥- الاعتراف بالحق
- ٢٦- قوة تحمل المشاق والمصاعب.
- ٢٧- التعود على الجدِّ والكدِّ، ويعني ذلك أن لا يفقد همته مهما كثرت أعماله.
- ٢٨- الشجاعة
- ٢٩- حب البرِّ
- ٣٠- الرغبة القلبية في مساعدة الآخرين كلما أتاحت له الفرصة.
- ٣١- بساطة العيش، وهي ألا ينفق كثيرا من أجل التمتع برغد العيش.
- ٣٢- المحافظة على الشرف والكرامة
- ٣٣- الاعتراف بمميزات الآخرين
- ٣٤- الأخذ بأوسط الأمور في جميع خطواته.

والآن أذكر لكم حسنات الإنسان التي تتعلق بالآخرين أيضا.

وإيكم أولا الحسنات المتعلقة بالملائكة:

- ١- الذكر الإلهي، وقد ورد في الروايات أن الملائكة تتكاثر في أماكن ذكر الله تعالى. ويقول النبي ﷺ

إن الملائكة تحيط بالمكان الذي تقام فيه مجالس ذكر الله تعالى.^{٣٧}

٢- الطهارة الظاهرية، ولأجل ذلك أمرنا أن نتطيب قبل التوجه إلى أماكن نزول الملائكة. كما أنه من السنة الغسل واستخدام الرائحة الزكية يوم الجمعة.^{٣٨}

والآن أذكر لكم حسنات الإنسان المتعلقة بالناس الآخرين.

- ١- العدل
- ٢- الإحسان
- ٣- الشكر على الإحسان
- ٤- النظافة والطهارة
- ٥- الجود والسخاء
- ٦- الوفاء والإخلاص
- ٧- الرحمة من خلال الأعمال
- ٨- الصداقة
- ٩- الحلم، وهو العفو عن أخطاء أحد في مقابل بعض مزاياه وصفاته. فالعفو هو أن تصفح عن أحد بعد

³⁷ انظر: مسلم، كتاب الذكر، باب فضل مجالس الذكر. (الناشر)

³⁸ انظر: البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة. (الناشر)

اعتباره مذنبًا ومقصراً، أما الحلم فهو عفو يتم بسبب صفات المخطئ أو أخلاقه.

- ١٠- الإيثار
- ١١- الإقراض
- ١٢- التصدق
- ١٣- التعاون
- ١٤- الأمانة
- ١٥- التصالح
- ١٦- العفو
- ١٧- الوفاء بالعهد
- ١٨- حمل الكلِّ
- ١٩- إكرام الآخرين واحترامهم
- ٢٠- التوقير، إن الإكرام هو احترام من يماثلك في عمرك ومنصبك، أما التوقير فهو يختص بالكبار.
- ٢١- الإصلاح بين الناس في خصوماتهم
- ٢٢- الأخوة
- ٢٣- حفظ الأسرار
- ٢٤- البشاشة

والآن أذكر حسنات الإنسان المتعلقة بالحيوانات:

- ١- الاهتمام بتغذيتها
- ٢- استخدامها في العمل بحسب قدراتها
- ٣- الاهتمام بتغذية الحيوانات التي لا تُستخدم في العمل، فلقد قال النبي ﷺ ما معناه: أمطرت السماء لأيام كثيرة فلم تجد الطيور شيئا للأكل فألقى أحد الناس بعض الحبوب لها فشرفه الله تعالى بنعمة الإيمان ودخل الجنة.

ولقد ورد في القرآن الكريم أيضا: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج ٢٥-٢٦) وتشمل كلمة "المحروم" الحيوانات والطيور أيضا، فينبغي إطعامها أيضا.

- ٤- رعاية الحيوانات في البرد القارس والحر القائل ومراعاة حاجتها لإشباع الرغبة الشهوانية ورعاية أولادها.

وأتناول الآن ذكر الحسنات التي تعتبر حسنات جماعية.

- ١- أداء الزكاة
- ٢- أداء التبرعات للضرورات الجماعية

- ٣- الضيافة
- ٤- التطوع للعمل الجماعي
- ٥- طاعة الحكام
- ٦- التعاون مع الحكام
- ٧- حراسة البلد
- ٨- الشعور بالمسؤولية
- ٩- قبول العقاب على الخطأ بطيب خاطر
- ١٠- نشر حسنات الآخرين بين الناس
- ١١- تجنب أعداء القوم
- ١٢- المحافظة على الكرامة القومية، أي الردّ على كل من يسيء إلى القوم.
- ١٣- الأمانة والصدق في التجارة
- ١٤- تدريس الآخرين
- ١٥- تربية الآخرين

والآن أتناول ذكر حسنات المرء التي تتعلق بالله تعالى:

- ١- السعي من أجل الوصول إلى الإيمان الكامل
- ٢- الحب الإلهي

- ٣- الالتزام الكامل بأعمال الشريعة كالعبادات
والمعاملات
- ٤- الرجاء، أي عقد الآمال بالله تعالى فحسب
- ٥- الخوف، أي مخافة الله وخشيته بسبب عظمته
- ٦- الطهارة القلبية
- ٧- التوكل، وهو أن يكون ثمة شعور راسخ - مع
بذل قصارى الجهود - بأنه لا يمكن إحراز أي نجاح إلا
بنصر الله تعالى.
- ٨- مراعاة الأخلاق الحسنة المتعلقة بالله تعالى
كالوفاء بالعهد وغيره.
- ٩- رد المعتقدات الباطلة كلها
- ١٠- إفهام من يسيء إلى الله تعالى - كأن يقول:
ماذا أعطاني الله تعالى؟ أو قد ظلمني - وإسداء النصح
إليه حتى يجتنب ذلك لأنه يخالف التوقير والأدب مع الله
تعالى.
- ١١- تبليغ الحق
- ١٢- احترام شعائر الله تعالى.

والآن أجب على السؤال الثاني وهو: ما هي المواقع والمواطن التي يمكن الالتزام فيها بهذه الأعمال أو تركها؟
 هناك إجابتان على هذا السؤال، إجابة إجمالية وأخرى تفصيلية.
 لو أردت ذكر الإجابة التفصيلية لأخذ مني من خمس عشرة ساعة إلى عشرين على الأقل مهما توخيت الاختصار فيها، لذلك فأقتصر على الإجابة الإجمالية، وأذكر بعض الأمور البارزة فقط.

١- يجب على الإنسان ألا يترك أداء حق الله الواجب عليه إلا إذا اضطر إلى ذلك، أو منعه من أدائه حكم رباني آخر. ومثال الاضطرار عدم استطاعته الضوء لجرح في يده أو وجهه، أو لأنه ليس له يد أصلاً، فأني له أن يغسلها. أما مثال تعارض الحكّمين فهو أن الله تعالى أمر المرأة بالحجاب، ولكنه أمرها أيضاً أن ترفع حجابها أثناء حج البيت، فهنا عارض الحكم الثاني الأول، ومن الحسنّة والبر ألا تحتجب المرأة في الكعبة.^{٣٩}

39 الحجاب أدناه كشف الوجه والكفين، ومنه النقاب وتغطية الوجه. وفي الإحرام ينبغي أن ترفع المرأة نقابها وتكشف وجهها إن كانت منقبة. وهذا ما قصده حضرته. (المترجم)

وإليكم مثال آخر: أمر الله تعالى بطاعة الوالدين، وهذه حسنة بعينها. ولكن لو تعارضت أوامر الوالدين مع ما أمر الله تعالى به فعدم طاعتها تصبح الحسنة بعينها.

٢- يجب ألا يعامل الآخريين بما لا يرضاه لنفسه في ظروف مماثلة. لا أقول أن يعامل الآخريين معاملة يرضاها لنفسه فحسب، بل أقول: يجب ألا يفعل بالآخريين ما يكرهه لنفسه أيضا في الظروف المشابهة. وعليه فلا يكفي ما يأمر به الإنجيل: عامل الآخريين كما تحب أن تُعامل.⁴⁰

٣- أن يتجنب الإفراط والتفريط. بعض الناس يتركون صلاة النفل نهائيا وبعضهم يهتمون بها لدرجة يهملون بيوتهم وأهلهم بسببها. لقد رُفعت إلى رسول الله ﷺ شكوى على أحد الصحابة أنه يصوم نهاراً ويصلي

⁴⁰ لعل النص المشار إليه ما ورد في إنجيل متى: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ." (إنجيل متى ٧ : ١٢) (المترجم)

ليلا فدعاه النبي ﷺ وقال: ولنفسك عليك حق، ولأهلك عليك حق^{٤١} ويعني ذلك: عليك بأداء حق الزوجة أيضا.
 ٤- أن يقوم بهذه الأعمال بكل حسن وجمال
 لدرجة تنعكس فيه صفات الله تعالى.

والآن أتناول السؤال الثالث وهو:

كيف يمكن للإنسان معرفة السيئات التي يتخبط فيها؟

هناك وسائل عدة لمعرفة السيئات، منها:

١- محاسبة النفس، إذا عرف الإنسان ما هي السيئات وما هي الحسنات، فلا بد أن يرى أية سيئة من هذه السيئات توجد فيه وأية حسنة من تلك الحسنات يفقدها.

٢- أن يطلب من صديق حميم له أن يقوم بدراسة نفسه، وذلك لأنه يصعب على الإنسان معرفة عيوبه أحيانا، فيمكنه أن يطلب من صديقه الحميم أن يدرس أعماله الظاهرية فحسب فلا يطالبه بالتجسس على سيئاته والبحث عن الذنوب بل يطلب منه أن يخبره عما

⁴¹ مسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن

عمرو بن العاص رضي الله عنهما. (المترجم)

يلاحظه من نقص أو عيب في أعماله الظاهرية. وهكذا سيخبره صديقه عن بعض عيوبه التي صَعِبَ عليه معرفتها.

٣- أن يفكر فيما يراه عيباً في الآخرين ويراجع نفسه إذا كانت تلك العيوب موجودة فيه أم لا.

٤- وأكثر من كل ذلك يجب أن يفكر فيما يتهم به أعداءه من عيوب، ثم يرى ما إذا كانت تلك العيوب موجودة فيه أم لا. وهكذا سوف يتعرف على كثير من عيوبه. كما ينبغي أن يأخذ بالحسبان تلك الحسنات التي يراها في عدوّه ويعترف بها، لأنه في كثير من الأحيان يضطر العدو للاعتراف بمزايا خصمه.

٥- ثم هناك وسيلة هامة ومثلى لمعرفة الحسنات والسيئات الموجودة في نفس الإنسان وهي أنه كلما مرّ أثناء تلاوته القرآن الكريم بعيوب الأقسام السابقة وذنوبها فكر ما إذا كانت هي موجودة في نفسه أم لا. وهذه الوسيلة مفيدة من ناحية أخرى أيضاً أنه لا يمكن أن تنكشف للإنسان الحسنات والسيئات كلها مرة واحدة، ولكن بهذه الطريقة سوف تنكشف له رويداً رويداً أثناء

تلاوته القرآن الكريم يومياً. ولما كانت تلاوة القرآن تبعث الإنسان على خشية الله تعالى فستساعده على تجنب السيئات والعمل بالحسنات.

علاج من لا يتمكنون من ترك سيئاتهم على علمهم بها

لقد تحدثنا عن أولئك الذين لم يعلُّ قلوبهم صدأً روحاني بعدُ مع ممارستهم السيئات والموبقات. ولكن بعض الناس لا يتمكنون من ترك سيئاتهم مع علمهم بها، على سبيل المثال: يعلمون أن ترك الصلاة معصية ولكنهم لا يصلون، ويعرفون أن قتل النفس إثم عظيم إلا أنهم لا يتخلون عنه، فما علاج ذلك؟

هناك ردّ تفصيلي على هذا التساؤل ولكن لا يسعني ذكر ذلك ههنا ولا يمكن أن يذكر في كتاب صغير. لذلك أكتفي بذكر بعض النقاط المهمة بكل اختصار.

١- يجب أن يدرك مثل هذا الإنسان أن قلبه قد صدئ، وهناك مانع يمنعه من كسب الحسنات ومن اجتناب السيئات، وهو نتيجة أعماله السيئة السابقة.

فعلاجه أن يستغفر الله تعالى كثيرا ويتوب من جميع ذنوبه السابقة.

يجب ألا يغيب عن البال أن الاستغفار يعني ستر الشيء، وهو على نوعين: الأول: يستغفر الإنسان بمعنى أنه يريد أن يغفر الله تعالى ذنوبه ويمحوها أو يخلصه من الآثام التي يتعرض لارتكابها، أما الثاني: فيريد الإنسان باستغفاره الله تعالى أن لا يتولد فيه القابلية لارتكاب الإثم ولا يقع في ارتكابه. وكما ورد ذكر الاستغفار عن الأنبياء كان هذا هو المعنى المراد أن لا ينشأ لديهم أي ذنب.

٢- والطريق الثاني هو أن يولد في نفسه المعرفة الحقيقية، وتعني المعرفة أن يفكر في الصفات الإلهية ويتعمق فيها ويسعى جاهداً للاتصاف بها. على سبيل المثال يجب أن يفكر في رحمانية الله تعالى فيتذكر ممن الله تعالى وأياديه عليه ثم يتذكر أنه إذا أمر الله تعالى ببذل الأموال على الآخرين فلماذا يقصر في هذا المضمار، وهكذا يوفق لتجنب السيئات والعمل بالحسنات من خلال تفكيره في صفات الله تعالى.

٣- يجب أن يفكر في الحسنات وعاقبتها الحسنى وفي السيئات وعاقبتها السيئة، أي يتدبر فيها على هذا النحو أن فلانا عمل بالحسنة فاستفاد بكذا وفلاناً ارتكب سيئة فتضرر بكذا، وهذا الأمر أيضا سيزيد من معرفته.

٤- بعد العمل بالأمر الثلاثة المذكورة يجب أن يُقدم على الأمر الرابع وهو التوبة. التوبة تعني:
أ- الندم على الخطيئات السابقة، ويجب أن تتولد هذه الحالة في قلبه.

ب- يجب أن يقوم بأداء تلك الفروض التي لم يتمكن من أدائها، مثلا إذا كان الحج فرضاً ولم يحج فليحج الآن، أما الصلاة فهي فريضة لا يمكن أداؤها بعد مرور زمن طويل على تركها، بل في هذه الحالة يجب الإكثار من الاستغفار.

ج- يجب أن يستغفر لذنوبه وأن يعتذر إلى كل مَنْ يتذكر أنه ارتكب إثماً في حقه، ما عدا الذنوب التي سترها الله تعالى.

د- يجب أن يفيد من أضرَّ بهم سابقاً، أي يحسن إليهم.

هـ- يجب أن يعاهد على عدم ارتكاب الإثم.

و- يرغب نفسه في البر والحسنة.

هذه هي شروط التوبة، فإذا التزم بها صارت توبته

توبة حقيقية ومقبولة.

يجب على الإنسان أن يحدث في نفسه حالة: "تخلقوا بأخلاق

الله" ^{٤٢} يجب أن يقوم بالأعمال الصالحة كفرض واجب عليه ولا

يمنعه من ذلك عدم نشوء الإخلاص في قلبه، مثلاً: إذا كان يشعر

بالضيق والحرَج عند التصدق، أو إذا كان تركيزه في الصلاة لا

يستقيم فعليه أن يكررها مرة بعد أخرى. يجب أن يتذكر أن

واجب الإنسان هو السعي المتواصل والدؤوب وعدم فقد العزيمة

ومواصلة طريقه دون كلل أو تعب.

حكيت لكم مرارا أن المسيح الموعود عليه السلام كان يقول: جاء

أحد المريدين لزيارة مرشده وأقام عنده بضعة أيام، فلما جنّ الليل

قام مرشده يردد الدعاء لأمر ما فتلقى إلهاما أن دعاءه هذا لن

يحظى بالقبول. وأراد الله تعالى أن يُسمع المريِد هذا الإلهام أيضا

فاندهش لدى سماعه وقال في نفسه أتيت إليه لأطلب منه الدعاء لي

إلا أنه يتلقى من الله تعالى ردًّا أنه لن يستجاب له. على أية حال التزم المرید الصمت بدافع الخجل والاحترام. وفي الليلة التالية نهض مرشده وظل يردد الدعاء نفسه طوال الليل إلا أنه في النهاية تلقى الإلهام نفسه بأن دعاءه لن يستجاب، فازدادت حيرة المرید. وفي الليلة الثالثة تكرر الحدث نفسه، فلم يتمالك المرید نفسه، فقال لهذا الولي: إنك تدعو بدعاء منذ ثلاثة أيام، وتلقى إلهامًا أنه لن يستجاب لك، فلماذا تعود كل مرة وتردد الدعاء نفسه وتساءله مرة بعد أخرى؟ فقال الولي: إنك تعبت في ليلتين أو ثلاثة؟ أما أنا فأردد هذا الدعاء منذ عشرين عاما وأتلقى في كل مرة الجواب نفسه إلا أنني لم أتعب ولا زلت مستمرًّا في دعائي هذا.. ولم تسمع هذا الرد إلا لثلاث ليال فحسب ثم جئت لتنصحنى بتركه؟ إن عملي هو أن أسأل الله، وإن عمل الله تعالى أن يقبل أو يرفض. فأنا أقوم بعمله، والله يعمل عمله.

ورد في هذه الرواية أنه ما إن تفوه بهذا الكلام حتى تلقى إلهامًا من الله تعالى أنه قد استجيب له كل ما دعا به خلال تلك الفترة كلها.

فعلى الإنسان أن يقوم بواجبه ويعمل عمله، إن لم يستقم تركيزه في الصلاة فقد لا يكون ذلك بوسعه، ولكن واجبه في هذه

الحالة هو أن لا يترك الصلاة وأن لا يمتنع عن أدائها. إذا عمل الإنسان صالحاً في الظاهر فلا بد أن يؤثر ذلك على باطنه في أحيان كثيرة ويؤدي إلى طهارته الباطنية. ولكن إن لم ينجح الإنسان بهذه الطريقة أيضاً، فعقد العزم مراراً ويخور عند كل مرة، ويحاول القيام فيسقط مرة بعد أخرى، ثم يجمع قواه ويحاول النهوض إلا أنه لا يلقى إلا الفشل والهزيمة، فيجب أن يفهم أن قلبه قد صدئ كثيراً جداً وهو بحاجة إلى معالجة مركزة لإزالته، لأن نفسه قد غلبته، وقد صار مغلوباً، وانمحي الشعور بعزة النفس - وقد أشير إليها في قصيدتي التي أنشدتُ هنا البارحة - فصار مثل ذلك الحيوان الذي يمسك الإنسان بخطامه فيقوده حيثما شاء، وهكذا تأخذه نفسه من خطامه ثم تسير به حيثما شاءت.

أذكر لكم العلاج الأصولي لهذه الحالة بصورة إجمالية ثم أورد علاجاً تفصيلياً لها. ولكن قبل التطرق إليه أود أن أبين الفرق بين فلسفة الأخلاق السابقة وبين فلسفة الأخلاق من وجهة نظر الأحمديّة.

يُعتبر ابن مردويه مؤسس فلسفة الأخلاق في المسلمين وقد ألف كتاباً في هذا الموضوع، ثم يُعدُّ ابن عربي أيضاً أستاذاً كبيراً في هذا المجال، ثم جاء الإمام الغزالي الذي ألف في الأخلاق كتاباً في

أربعة مجلدات. ولكن لم يُؤلَّف بعد ذلك أيُّ كتاب في هذا الموضوع وظن الناس أن فلسفة الأخلاق قد اكتملت الآن. لأجل ذلك لا بد أن ألقى ضوءاً على هذه الأمور حتى تنكشف أخطاء هذه الكتب على من يقرأونها، لا شك أن تلك الأمور كانت مقبولة في وقتها إلا أنها تحتوي على أخطاء.

الفرق بين فلسفة الإمام الغزالي والفلسفة الأحمديّة هو أن الإمام الغزالي قد ركز كثيراً على الصفات السلبية، أما فلسفة الأخلاق التي أقامها المسيح الموعود عليه السلام فقد أحدث فيها تغييراً كبيراً، لأنه عليه السلام ركز على الصفات الإيجابية.. أي أن المسيح الموعود عليه السلام قال: ليست الأخلاق ألا يكون كذا وكذا، بل الأخلاق هي أن يكون كذا وكذا.

لا شك أن إفناء النفس علاج أيضاً ولكنه ليس هو العلاج كله بل هو أحد المعالجات. لا يسعنا التغافل عن الأمور التالية أثناء دراستنا لفلسفة الأخلاق:

أولاً: يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧) أي لقد خلقنا الإنسان للعبادة فحسب. ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (هود

١٠٩).. أي خلقنا الإنسان ل يتمتع بالنعم الخالدة. مما يوضح أن الله تعالى قد خلق الإنسان ليقوم ببعض الأعمال، ولم يخلقه ليمتنع عن بعض الأمور والأفعال. فلم يقل الله تعالى "خلقت الإنسان حتى لا يعمل كذا"، بل قال: خلقتُه ليعبد. إذاً قد خُلِقنا لكي نقوم ببعض الأعمال لا لنكفَّ عنها. ليس النفي بذاته هو المطلوب، إنما يكون النفي للوقاية، أي التحلي عما يعيق تحقيق الهدف. فلو كان الغرض من خلق الإنسان هو أن يكفَّ ويمتنع من الأفعال لكان هذا الغرض محققاً بصورة أفضل إذا لم يخلقه الله أساساً. وهذا يشابه تعريفاً وضعه الهندوس لإلههم حيث يقولون: إنه ليس هذا ولا ذاك.

لم يخلق الله تعالى الإنسان للنفي بل خلقه للإثبات، مع مراعاة النفي من أجل التجنب وتوخي الحذر. فمحور الحديث هو ما ينبغي على الإنسان أن يكون ويصبح، وليس المحور ألا يكون أو لا يصبح كذا.

والأمر الثاني الذي لا يسعنا إغفاله هو أن النفس الإنسانية تشبه الحصان. لا شك أن على الإنسان أن يروِّض حصانه ضمن حدود معقولة ليمارس رياضته ولا يدعه يسمن كثيراً فيصبح جامحاً صعب المراس ويُسقط الراكب عنه دونما سبب. ولكن هل رأيتم أحداً

تعلّم الفروسية بمجرد تجويعه حصانه؟ في أحد أسفاري قال أحد الإخوة الذي لم يكن يعرف ركوب الخيل: لن أركب هذا الحصان، وإذا أردتم أن أركب فلتأتوا بحصان ضامرٍ نوعاً ما. فلما جيء بمطلبه خاف وقال أليس لديكم أنحف وأقصر منه أيضاً؟ فمن لا يعرف ركوب الخيل فلن يتعلمه بتجويع حصانه، لذلك فمن الوهم والظن الباطل أنه يمكن السيطرة على النفس وتسييرها وفق إرادة الإنسان من خلال إضراعها وتحنيفها، كلا، بل لا بد أن يتعلم الإنسان فن السيطرة عليها.

والأمر الثالث الذي لا يسعنا التغافل عنه هو أن الإثم لا ينشأ من الوقوع تحت سيطرة النفس فحسب، بل يتولد عند موت النفس أيضاً، مثلاً ينشأ الجون جراء موت النفس. وفي هذه الحالة لا بد من تقوية النفس حتى تعمل عملها.

خلاصة القول، كما أن إضراع الحصان أو تسمينه ضروري أحياناً من أجل استخدامه في أعمال مختلفة كذلك الحال بالنسبة إلى نفس الإنسان فلا ينبغي إماتتها كاملاً ولا يجبّذ أن يشتد جماحها لدرجة لا تطيع أمراً.

وهناك فرق آخر بين فلسفة الأخلاق للإمام الغزالي رحمه الله وفلسفة الأخلاق للمسيح الموعود عليه السلام، وهو أنه عليه السلام علمنا أن

الإيمان يُبنى على الرجاء والأمل، فلقد ورد في القرآن الكريم أن الإيمان يتأرجح بين الخوف والطمع، ولم يرد فيه أنه بين الرجاء واليأس. بل ورد فيه عن اليأس: ﴿إِنَّهُ لَأَبْيَئُسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٨) أي: لا ييأس المؤمن بل الكافر هو من يتعرض لليأس. فإن فلسفة الإيمان مبنية على الرجاء، ولقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن الله تعالى يعامل العبد بحسب ظنه بالله ﷻ⁴³. فليس من الإسلام في شيء كل ما يؤدي إلى نشوء اليأس والقنوط. أما الخوف فينبغي أن يكون أقل من الطمع، لا شك أن الخوف أيضا جزء من الإيمان، إلا أنه ينبغي أن يكون أقل من الطمع. يقول الله تعالى: ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف ١٥٧) أي إن صفتي الرحمة أوسع من صفة الغضب، مما يوضح لنا أن حالة الطمع تكون في قلب الإنسان أشد وأقوى من الخوف.

يكون قلب المؤمن عامراً بالرجاء، لا شك أنه يخاف ويخشى أيضا إلا أن الخوف فيه يكون أقل من الرجاء، فإنه يكون واثقا من أن الله تعالى لن يعامله بطريقة تؤدي إلى تدميره. فإذا درسنا خوف

⁴³ البخاري، كتاب التوحيد، باب يحذركم الله نفسه. (الناشر)

المؤمن ورجاءه عرفنا أن خوفه ليس نابغاً من سوء ظنه بالله تعالى بل هو راجع إلى ضعف نفسه، أما رجاؤه فهو مرتبط بفضل الله تعالى. أليس حقاً أن ضعفنا لا يساوي شيئاً مقابل فضل الله تعالى؟ وعليه فإذا كان خوف المؤمن نابغاً من استغناء الله تعالى فإن رحمته تعالى غلبت صفة استغناؤه أيضاً، أما إذا كان سببه عائداً إلى ضعف نفسه فإن قوة الله وقدراته غالبية على ضعفنا، وهكذا فإن جانب الرجاء هو الغالب في النهاية لأن دوافعه أقوى بكثير من دوافع الخوف.

ولكن يجدر بالذكر أن هذا الرجاء يخص العبد المطيع دون المتمرّد العاصي. فلا يمكن لأحد القول بأنه سيفعل ما يريد ثم يرجو رحمة الله تعالى وينالها حتماً، هذا تمرد، ولا رجاء للمتمرّد، فإن الطمع والرجاء للمطيع فقط.

والأمر الثاني الجدير بالذكر هو أن المؤمن لا يخاف من قدرته على إتمام عمل ما، ولا يخاف من العقاب إن لم يقيم بكذا، إنما يخاف من ألا يؤدي به السبيل التي يسلكها إلى الهدف المنشود. وليس خوفه نابغاً من أن الله تعالى سيعاقبه إن لم يفعل كذا، بل يخاف من فشله في اجتذاب رحمة الله تعالى فيبقى محروماً.

خلاصة القول، إن التصوف الإسلامي الصحيح يُبنى على الطمع والخوف، وجانب الطمع أقوى وأرجح من الخوف، والحق أن جميع القوى الإيجابية تتولد من الرجاء والطمع، أما الخوف فيولد القوى السلبية. ولما كان الهدف الحقيقي للإنسان هو أن تتولد في قلبه محبة الله تعالى، فلا يتأتى إلا بالطمع والرجاء، أما الخوف فيساعد على التخلص عن السيئات.

لاحظوا الآن إلى أي مدى سعى النبي ﷺ لإزالة الخوف من أفراد أمته، فأولا قد اتضح مما ورد في القرآن الكريم: ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أن رحمة الله تعالى أكبر من أي شيء آخر، ولكن رسول الله ﷺ قد وضع الأمر أكثر فقال: "الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ".⁴⁴ وهكذا بين أنه لا داعي للخوف من الرؤى المنذرة لأنها من الشيطان. وبما أن الأنبياء أيضا يرون رؤى منذرة فهذا يعني أن الرؤى المنذرة ليست جميعها من الشيطان، بل المراد من قولنا هو أنه لو رأى أحد رؤى منذرة فحسب ولا يرى رؤى مبشرة أبداً أو يراها نادراً فيجب اعتبار الرؤى المنذرة من الشيطان. وهكذا فقد أزال النبي ﷺ الخوف من

⁴⁴ البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله. (الناشر)

قلوب المؤمنين، لأن الرؤى تؤثر على القلوب بشكل خاص. ولكن الذي يرى الرؤى الشيطانية دوماً قد يرى رؤيا صادقة أيضاً، فكان ثمة احتمال أن يعتبرها أيضاً شيطانية فيتضرر بها، لذلك فقد علمنا النبي ﷺ علاج ذلك فقال: "فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ." (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق)

وهنا قد ذكر النبي ﷺ نقطة عجيبة، وهي أن الناس يبصقون عادة على بعض الأشياء تعبيراً عن عدم مبالاقتهم بها. فلقد شجّع النبي ﷺ المؤمنين أنهم إذا رأوا رؤى شيطانية فليبصقوا للتعبير عن أنهم لا يولونها أية أهمية، وهكذا فقد أراد النبي ﷺ أن يخلق في المؤمنين رجاءً وشجاعة.

والعلاج الثاني هو أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لأنه ذكرت سابقاً أنه قد تكون بعض هذه الرؤى صادقة أيضاً، فلو قرأ الحوقلة حقق بذلك الاستغفار في حضرة الله وأحرز درجة في التوكل عليه أيضاً. خلاصة القول، ينجو من أضرار الحُلم الشيطاني من خلال بصاقه أي عدم اكترائه بالشيطان وأفعاله، كما سيعصم من الإنذار الإلهي بقراءته الحوقلة، لأن من يرتمي أمام الله تعالى يعصم من العقوبة. فمن قام بهذين العلاجين

نجا من مخاوف قلبه. لاحظوا، ما لطف وأروع هذا الأسلوب الذي أزال به النبي ﷺ الخوف عن أمته!

بعد بيان الفرق بين فلسفة الأخلاق للإمام الغزالي وبين فلسفة الأخلاق لدى الأحمديّة أذكر لكم العلاج المناسب لمثل هذا المريض الروحاني الذي لا يقوى على عمل يمكنه من القيام على رجله روحانياً. وقبل ذكر هذه الأمور أردّ على شبهة قد تنشأ ههنا وهي: ما الفائدة من تذكير أحد ببعض الأعمال في حين أنه لا يقوى على أي عمل أصلاً؟ فما النفع من حثه على عمل آخر في هذه الحالة؟ والرد على ذلك كما يلي:

١- مادام الإنسان يستطيع القيام بعمل من الأعمال فلا يسعه نيل الطهارة والعفة بدونه. أما إذا استحال عليه القيام بأي عمل فقد ينالها بدونه، على سبيل المثال لو جنّ أحد فلا بدّ أن يستصعب القيام بأي عمل، فقد قال عنه النبي ﷺ أنه يعطى فرصة العمل مرة أخرى^{٤٥}.

⁴⁵ لعل حضرته ﷺ يشير إلى ما روي عن الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقٌ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فِتْرَةٍ. فَأَمَّا الْأَصْمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصَّبِيَّانُ يَحْدِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ

يجدر بالذكر هنا أن الأعمال على نوعين؛ أحدهما: ما يستطيع جميع الناس القيام به. وثانيهما: ما يتعلق بالعواطف والمشاعر وهو ما يستحيل القيام به في بعض الحالات القلبية، أما الأعمال المتعلقة بالظاهر فلا تستحيل مطلقاً في جميع الظروف والأحوال؛ مثلاً لا يسع أحد القول بأنه لا يستطيع أداء الصلاة، ولكن قد يقول إنه لا

فَيَقُولُ: رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ. فَيَأْخُذُ مَوَائِقَهُمْ لِيُطِيعَنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا. قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ حَدَّثَنَا مَعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْحَسَنِ عَنِ أَبِي رَافِعٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا". (مسند أحمد، مسند المدنيين، حديث الأسود بن سريع (المترجم) (ﷺ))

وما روي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بأربعة: بالمولود والمعنوه ومن مات في الفترة والشيخ الهرم الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من جهنم: أبرزني ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم فيقول لهم: ادخلوا هذه. فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب أتدخلنا ومنها كنا نفر؟ وأما من كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها. فيقول الرب تعالى: قد عاينتموني فعصيتموني، فأنتم لرسلي أشدُّ تكذيباً ومعصية. فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار." (روح المعاني تفسير قوله تعالى "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"). (المترجم)

يستطيع التحلي عن الحب الحرام. فالأعمال على نوعين: أحدهما يتعلق بالمشاعر والعواطف، والثاني لا يتعلق بها.

كيف تُعالج العوارض الجسمانية؟ إنما يكون بمراجعة الأطباء.

المريض يعاني من الضعف، ولا يقوى على شيء، مع ذلك يُنصح من قبل الطبيب أن يمارس الرياضة الخفيفة. فهل يمكنه أن يقول للطبيب بأني لا أستطيع القيام بأي عمل فكيف تنصحي بممارسة الرياضة؟ المريض لا يردّ على الطبيب بمثل هذا الردّ لأنه يعرف الفرق بين نصح الطبيب وبين قول شخص عادي، فما ينصح به الطبيب هو عملٌ أيضاً إلا أنه يكون في استطاعته، أما ما يقول له غيره فقد يكون فوق قدرته. فلا بد من القيام بالعمل لكسب القوة والطاقة. إن المريض الذي يلازم فراشه ويبلغ من الضعف بحيث لا يقوى على النهوض ينصحه الطبيب بالتدليك، فينهض ويجلس إذا تقوت عضلاته ثم إذا كسب قوة أكثر فيقوم على رجليه. والأسلوب نفسه متَّبَعٌ في الأعمال الروحانية أيضاً حيث يُبدأ بالأعمال الصغيرة ثم تدرّج رويداً رويداً. إذا وجد أحد الطلاب صعوبة في قراءة كتاب الصف العاشر فسينصح بقراءة كتاب الصف التاسع، فلا يسعه القول: كيف لي قراءة كتاب الصف التاسع ما دمت لا أستطيع قراءة كتاب الصف العاشر.

وكذلك في المجال الروحاني يُحرز التقدم من أدنى مستويات العمل إلى أعلاها.

بالإضافة إلى أنواع العلاج المذكورة فهناك أمور أخرى ضرورية لمثل هذا الشخص المريض روحانياً، وسأذكرها لاحقاً أما الآن فسأذكر أنواع العلاج التي ذكرت سابقاً:

١. اكتساب معرفة دقيقة للسيئة والحسنة والفضيلة والرديلة.

٢. معرفة المحل المناسب لصدورها.

٣. محاسبة النفس.

٤. الإكثار من الاستغفار.

٥. السعي لاكتساب المعرفة الإلهية. لقد قلت فيما سبق

أن يكسب الإنسان المعرفة الإلهية ولكن الآن أقول أن

يسعى لكسب المعرفة بالله تعالى، لأن الشخص الأخير

الذي ذكرناه لا يتحلى بالقوة الكافية للعمل.

٦. يستعرض عواقب الخير والشر.

٧. يسعى للعمل بـ "تخلقوا بأخلاق الله".

وسأذكر الآن العلاج الجذري. لا شك أن لدى مثل هذا

الإنسان مرض، ولا يمكن معالجة المرض دون تشخيصه، فلا بد

أن يعرف أولاً ما هو مرضه. فيجب أن يتساءل أنه لأي شيء يسعى؟

فالرد الأول الذي يلقاه هو: عليه أن يسعى من أجل طهارة القلب.

والثاني: يسعى لإصلاح الأعمال.

فالأمر الأول يتعلق بحب الله تعالى، وضعف القلب يدل على فقدان عنصر المحبة الصحيحة.

لقد ذكرت مرات كثيرة رؤياي التي رأيت فيها السيد المسيح طفلاً واقفاً على مصطبة وهو يرنو إلى السماء رافعاً يديه. وبعد قليل رأيت السيدة مريم نازلة من السماء، فنزلت على قاعدة أعلى نسبياً ووقفت، ثم نزلت درجة وفي الوقت نفسه تخطى السيد المسيح درجة نحو الأعلى ثم انحنى إليها وهي أحنت عليه، وعندها جرت على لساني الكلمات التالية: Love creates love .. أي أن الحب يخلق الحب.

فلا شك أن الحب يخلق الحب، ولكن لا بد أن تكون هناك

دوافع للحب، وهي التالية:

١- الحُسن

٢- الإحسان

ولكن لو أن أحداً قد رأى حسن الله تعالى، أي تدبر أحد في صفاته، ورأى إحسانه ومننه أيضاً، ثم فكر في علاقته مع الله تعالى أيضاً، ولم يتولد مع ذلك في قلبه حبه لكانت حالته تشبه حالة الولد الذي لا يجب أمه وكأنه قُضي على مادة الحب فيه. فلو أن أحداً لا يصل إلى جوفه أي غذاء ولا يشرب دواء فهذا يدل على أن معدته ليست على ما يرام، فأولا يجب تقوية معدته. أما في المجال الروحاني فلا بد من إحياء مشاعره وإحساساته. وبما أن لظاهر الإنسان أثراً على باطنه فأول علاج لمثل هذا الإنسان هو أن يحاول التقيد بالخشوع والخضوع ولو في الظاهر فقط، وإذا صلى الصلاة تكلف البكاء، لأنه من الثابت علمياً أن لبعض الأمور الظاهرة أثراً على الباطن ولو تصنع بها صاحبها. قرأت كتاباً ألفه أحد الأميركيين ورد فيه: كان أحد الأساتذة طالباً ناجحاً أثناء المرحلة الدراسية، ولكنه لما عُيِّن عميداً لإحدى الكليات بعد إكمال دراسته بدا فاشلاً في إدارة الأمور، فسأل أحد الخبراء في علم النفس عن سبب ذلك، فقال له: إنك لين القلب جداً فلا تستطيع المحافظة على نظام الكلية وإدارته. فلما سأله عن علاج هذه الحالة قال: يجب أن تبقى ضاغطاً على أسنانك ومطبقاً فكّيك، أي يجب أن تكون

مقطبًا ومقلصًا عضلات وجهك حتى تظهر في مظهر شخص غاضب جدًا، ففعل، وبعد فترة قصيرة حصل تعبير مفاجئ إذ اشتهر عنه أنه أشد عمداء البلد، وبذلك تمكّن من إدارة الأمور وأجاد.

فلا بد أن ظاهر الإنسان يؤثر في باطنه، فلو تبختر الجبان في مشيته تحلى بالشجاعة والبسالة، ولأجل ذلك يطلب من جنود المعسكر أثناء تلقيهم التدريب العسكري أن يمشوا رافعين أعناقهم ميرزين صدورهم للأمام، مما يولد فيهم الشجاعة.

١- فإن العلاج الأول هو أن يتصنّع التحلي بصفة معاكسة للعيب الذي فيه، ونتيجة لذلك تتولد فيه تلك الصفة حقيقةً فيتخلص من العيب. وعليه فمن أجل خلق مادة الحب في نفسه لا بد أن يبدي آثار الحب ظاهرًا، مثلاً إذا صافحه أحد فيشدّ على يده ويصافحه بكل حرارة. وإذا جلس معه أحد برهة ثم نهض للمغادرة فيصرّ على بقاءه وقتاً أطول حتى ولو كان لا يريد ذلك من قلبه. وهكذا إذا أظهر آثار المحبة ولو تصنعاً فلا بد أن تتولد فيه دوافع المحبة الحقيقية رويداً رويداً، وفي النهاية

سيبدأ بإنشاء علاقة الحب مع الله تعالى أيضا لأن سبب عدم حبه لله تعالى يرجع إلى انعدام مادة الحب فيه.

٢- والعلاج الثاني هو أن يكثر من حبه للوالدين والأهل والأولاد وهو ما يقال لدى الصوفية بالعشق المجازي؛ وهو أن يحب الإنسان حبًّا جمًّا مَنْ يجوز له محبتهم. ولكن الناس شوهوا هذه الفكرة فاخترعوا أمورًا وأحاديث مغايرة للحقيقة. لا يعنى العشق المجازي أن يختار أحد شأبًا وسيمًا ثم يحبه أو يقع في حبٍّ أحد آخر بطريق غير شرعي. بل المراد منه أن يزداد حبًّا بالأقارب الذين أجاز له الله تعالى حبهم، مما يولد في نفسه دوافع المحبة ويؤدي به إلى أن يزداد حبًّا لله تعالى.

الأمر الثاني الذي يسعى له الإنسان من أجل إصلاح حالته الروحانية هو إصلاح أعماله. فاعلموا أن إنجاز كل عمل منوط بقوة الإرادة - وهي إرادة الإنسان للقيام بعمل ما ثم إنجازه - ولكن من يردد بأنه سيفعل كذا وكذا ولا يستطيع القيام به فإن حالته المزرية هذه تشير إلى:

١- أنه ليس له أي تحكم في إرادته، وضعفت فيه "الأنا" فلم تعد له سيطرة على إرادته. إن "الأنا" بمنزلة

السلطان، أما الإرادة فبمنزلة الحاجب، فإذا ضعف السلطان فلا يسعه أن يطلب من حاجبه أن يعمل كذا بل يخافه، مما يجعل الحاجب يتكاسل في إتمام أوامر السلطان.

٢- أو أن "الأنا" قوية فيه ولكن الحاجب مريض، وهذا يعني أن قوة الإرادة ضعفت فلم تعد لها سيطرة على العواطف والمشاعر التي تعمل كالموظف عند الحاجب. فلما ضعف الحاجب تكاسل الموظفون الذين يعملون تحته فلا يخضعون لأوامره. وهكذا ضعفت العلاقة بين "الأنا" والمشاعر والأحاسيس والعواطف.

٣- وإن لم يكن الأمر كذلك فلا بد أن شيئاً ما يحول بين الإرادة والإحساس مما يفصل بينهما أو يضع حاجزاً بينهما بحيث لا تصل الأوامر إلى الإحساس على قدرة الإرادة على إصدار الأوامر واستعداد الإحساس لقبولها، ولكن وقع انقطاع بينهما.

فهذه هي الأسباب الثلاثة في عدم قدرة المرء على التخلي عن الآثام والسيئات أو لقلّة الأعمال الصالحة فيه، وهي: (١) ضعف قوة "الأنا" (٢) ضعف الإرادة (٣) تدخّل بعض العوامل الأخرى

التي تحول دون سيطرة الإرادة على العواطف، ومثاله عادة الإنسان، فهناك من اعتاد التدخين وقد قرر الإقلاع عنه، ولكنه إذا رأى أمامه النارجيلة فقد السيطرة على نفسه وانجذب نحوها بسبب عاداته السابقة.

وأخبركم الآن عن الأمور التي تزيد من "أنا" الإنسان:

(١) أول ما يقوِّي "الأنا" هو قوة البقاء، أي الرغبة في البقاء على قيد الحياة. وكل كائن حي يرغب في أن يبقى حيًّا. لو أردتم إهلاك حشرة أو دودة صغيرة فهي تقاوم وتضطرب مما يدل على أنها تريد البقاء على قيد الحياة. فعلى من يعاني الأمراض المذكورة أن يفكر في أنه لو استمرت حالته على هذا النحو فهلاكه وشيك، ولما كان يريد الحياة لا الهلاك فلا بدّ أن يقوِّي لديه دوافع حبّ البقاء وقواه على قيد الحياة. وهذا هو مقتضى طبع الإنسان، ويمكن أن يزداد ويتقوى سريعاً من خلال التفكير فيه والاهتمام به. لاحظوا أن مدخن النرجيلة كلما رآها توجه إليها تلقائياً وجلس عندها، وكذا المدمن على الخمر يسعى نحوها، ولكن لو وجد هناك أحداً شاهراً سيفه لقتله

للاذ بالفرار من ذلك المكان. يقال عندنا لو ضُرب شارب الخمر بالنعال لزال عنه سكره. في الحقيقة تغلبه في هذه الحالة الرغبةُ في البقاء على قيد الحياة مما يؤدي إلى زوال سكره.

(٢) يجب أن يقوي رغبة الإفناء فيه أيضا. وهو نتيجة حتمية للأمر الأول، فلا يمكن أن تكتمل الرغبة في الإبقاء دون تقويته الرغبة في الإفناء، فعليه أن يعزم على أن يذلل كل عقبة تحول دون نيته هذه المقاصد السامية.

(٣) الأسلوب الثالث لتعزيز "الأنا" هو تعزيز قوة الجذب عنده. وهي تصميمه على تحقيق ما يحتاج إليه، ويجب عليه القيام بالمحاولات المتكررة لنيل ما استصعب عليه، وهذا ما سيسفر عن تعزيز "الأنا" لديه.

(٤) يجب عليه تعزيز قدرته على المقاومة أو النفور ضد كل ما يمكن أن يكون ضاراً له.

(٥) يجب عليه تعزيز صفتي الثبات والصمود لأنهما سيغذيان "الأنا" في الإنسان. قد يصعب الثبات أحياناً وقد يبدو للبعض مستحيلاً، إلا أن البعض يتجاهلونه. على أية حال، إذا صمد أحد في بعض الأمور فسيكسبه قوة

الصمود في أمور أخرى أيضا، وبالتالي يساهم في تعزيز "الأنا" عنده.

(٦) مراعاة المصلحة والحكمة: وهي أيضا تنشأ في الإنسان نتيجة رغبته في البقاء على قيد الحياة. فلو راعى مقتضى الوقت في أعماله أدى ذلك إلى تولد قوة التدبير والحكمة والمحافظة على الأسرار وضبط النفس، وكل ذلك يؤدي إلى تقوية "الأنا" فيه.

(٧) إن التفكير الدائم في أخذ الحيطة والحذر، والتيقظ وبعد النظر والتحلي بها أيضا يساعد على تعزيز الأنا.

(٨) يجب على مثل هذا الإنسان أن يمقت مدح نفسه، فلو أثنى عليه أحد رفض الاستماع إليه مما سيعزز لديه "الأنا". المدح قاتل للأنا، وسكين حاد لذبحها. ذكر هذا الأمر في القرآن الكريم بأسلوب لطيف جدًا، حيث قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (آل عمران ١٨٩)، أي أن مثل هؤلاء الناس يصدّقون أقوال الناس في مدحهم، ولكنهم لا يتدبرون في أنفسهم هل حقًا فعلوا شيئًا أم لا؟ خلاصة القول، لا يحرك مثل هؤلاء الناس ساكنًا، وإذا فعلوا شيئًا تبادوا في التباهي به، وإذا أطرى

عليهم البعض وقال عنهم أنهم أنجزوا مهمة كبيرة رضوا به ووافقوهم على قولهم وكأهم قد أتوا بمأثرة عظيمة. فإنهم يحبون العيش في قصور خيالية شيّدتها مدائح الناس. فرفض الاستماع إلى المدح يؤدي إلى تعزيز الأنا.

٩) تعزيز صفة احترام الذات وعزة النفس: يجب على الإنسان أن يرفض تحمل كل نوع من الخزي والعار، ويقول لماذا ينسب الشر إليّ. هذا ما يجب أن يثير الغيرة لديه فينهض، وينجح في الحصول على بعض الأمور وفقاً لإرادته.

١٠) تنمية الكرامة والوقار: أي عدم التدخل فيما لا يعنيه. إذ من الطيش والانحطاط أن يتدخل الإنسان في كل صغيرة وكبيرة، وهو ما ينذر بموت الأنا لديه.

١١) تنمية الأمل والتفاؤل في النفس أيضا يؤدي إلى تعزيز الأنا. أي أن يتيقن بحدوث أمر من الأمور على النحو الذي يتأمل حدوثه ويجعل هذا الأمر راسخاً في نفسه، وهو ما سيعزز ثقته بنفسه.

(١٢) الابتهاج وروح الدعابة، وهي تنفخ في الإنسان قوة وشجاعة، أما القلق والضجر فيضيع قوى الإنسان.

معظم هذه الأمور صعبة التنفيذ. ولكن إذا استطاع أحد العمل ببعضها لاحظ أنه يتقوى يوماً بعد يوم. كل هذه المناورات ذهنية وعقلية، وإن ممارستها تساعد على تنمية القوى العقلية التي تتحكم في الإرادة، وأفضل الطرق لممارستها هو تفكيره في وضعه الحقيقي على النحو الذي شرحتة آنفاً، وهذا ما سيؤدي به إلى تعزيز الأنا فيه في أيام قليلة.

ولكن تتجاوز الأنا أحياناً حدودها فيفضي التجاوز إلى ارتكاب الذنوب. ومثاله السيد الظالم الذي يضرب خدمه دونما سبب أو جريرة. وعلاج هذه الحالة هو التفكير في صفة استغناء الله تعالى، وعليه أن يراجع نفسه أنه إذا كانت الأنا عنده تُعاقب على كل صغيرة وكبيرة فماذا عسى أن يكون موقفه لو عامله الله تعالى على الشاكلة نفسها، فيجب أن يستوعب أن كل ما يملكه عطاء من الله تعالى، فليس هو مالك له، بل هو مؤتمن فحسب، ولا بد

أن يُسأل يوماً عن أداء هذه الأمانة، فيجب أن يكف عن القسوة الزائدة والظلم.

فإن تعززت لديه الأنا أو كانت قوية مسبقاً، ومع ذلك واجه مشكلة تتعلق بالإرادة أو بالعراقيل التي تحول دون عملها فعلاج ذلك كالاتي:

(١) لا بد أن يتأثر الباطن بالظاهر كما سبق أن ذكرته ويعني ذلك أنه لو قام أحد بعمل ما في الظاهر ولو بتكلف وتصنع فلا بد أن يؤثر على باطنه، وقد ركز المسيح الموعود عليه السلام على هذه النقطة كثيراً.

(٢) والعلاج الثاني هو التوجه إلى الله، وهذه الوصفة أهمية قصوى لإحراز الفوز والنجاح، مما يعني أن يوجه تفكيره في اتجاه واحد فقط ويقضي على كل تصور غير الله تعالى. يقول القرآن الكريم: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (النازعات ٢) أي من يريد إحراز نجاح باهر في عمل ما فلا بد أن يستغرق فيه ويهتم به لدرجة يصبح هو شغله الشاغل. وإذا شغل مشروع من المشاريع جلّ عقل الإنسان فلا بد أن ينجح في إتمامه. مثلاً، لو فكر المعتاد على الكذب في تركه بطريقة عابرة فلا يحرز أي نجاح إلا

إذا سيطر هذا الموضوع على لِّبه وعقله، فأصبح يفكر ليل نهار في الكف عن الكذب والإقلاع عنه.

إن التفكير المتكرر في أمر من الأمور يؤدي إلى تقوية الإنسان داخلياً، ولكن هناك خطراً يهدد هذه القوة وهو أنها قد تصبح جامحة لدرجة تخرج عن سيطرة الإرادة فتهم هنا وهناك. يشتكي الكثيرون في بلادنا من تشتت الأفكار والتعرض للخيالات أثناء الصلاة فيسألون عن معالجتها. يجب أن يعلموا أن قوة تفكيرهم وخيالهم قد أصبحت جامحة فلم تعد تركز على صفات الله تعالى بل تشتت إلى أمور أخرى. فليس صحيحاً القول عمن تراودهم أفكار شتى أثناء الصلاة أن قوة التوجه والتركيز لا تتولد فيهم، بل الحق أنها قد خرجت عن سيطرة إرادتهم فتهم حينما تشاء وتتوجه حينما تريد. وعلاج ذلك هو إخضاعها مرة أخرى لقوة الإرادة. فمن تشغله أمور أخرى ويتشتت تركيزه في صلاته فهذا يعني أن قوة التركيز عنده قد خرجت عن سيطرة قوة إرادته، فالخطوة الأولى هي إخضاع التركيز لسيطرة قوة الإرادة.

والسؤال الآن كيف يتم ذلك؟

سأذكر الردّ الحقيقي على هذا السؤال لاحقاً أما هنا فأكتفي بذكر العلاج العام وهو ألا يمارس هؤلاء ضغوطاً على أنفسهم من أجل التركيز في الصلاة، بل يجب أن يصلوا بشكل عادي كما يقومون بأعمالهم اليومية فستزول عنهم هذه الحالة رويداً رويداً.

(٣) يجب أن يحسن استخدام قوة إرادته، فينبغي أن يعقد العزم على أن يظل مثابراً على عمل معين ولن يبالي بأية عرقلة تعترض سبيله. قد يحدث معه أحياناً أن يعقد عزمًا إلا أنه ينهار ولا يستطيع تنفيذ إرادته، وكل ذلك يدل على ضعف قوة الإرادة فيه، فأورد فيما يلي -لنقوية العزيمة- وَصْفَةً تحتوي على بضعة عشر دواءً مذكورة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

(١) يجب أن يواظب على قراءة الآية التالية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧)، يقول الله تعالى إنه خلق الإنسان ليكون عبداً خالصاً له، فما دام الله تعالى قد خلقه لتحقيق هذا الهدف فلا بد أن يفكر في تحقيقه أي يحاول أن يصبح عبداً له. يجب ألا يقول: إنه صعب عليّ أو لا يسعني ذلك، بل يجب أن يتصور كأن

الله تعالى قد أمسك بيده وقال له انهض واعمل، وهذا ما يسمى لدى الصوفية "المراقبة" التي لا تعني أن يجلس أحد خافضاً عنقه مغمضاً عينيه بل يجب أن يكرر تفكيره وتدبره متسائلاً: لقد خلقتني الله تعالى لأكون عبداً له فكيف يمكن أن أصبح شيئاً آخر؟

(٢) يجب أن يتدبر مضمون الآية التالية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين ٥) ويقول بأن الله تعالى قد خلقتني كالناس الآخرين بقوى وقدرات رائعة عظيمة، فأستطيع ما أستطيع غيري من كسب الأعمال الصالحة، وبإمكانني إحراز الدرجة العليا في الروحانية كما تمكن منه غيري، فكيف لي ألا أنجح في تحقيق ذلك وأتفهم في وسط الطريق؟ فيجب أن يركز عليه مرة بعد أخرى ويرسخ في نفسه هذه الفكرة.

(٣) ينبغي أن يكثر من ورد الآية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق ١٧)، ويتدبر في مضمونها، ثم ينقش في تلافيف دماغه أن الله تعالى قد خلقه وهو يعلم ما ينشأ في القلب من وساوس دقيقة تلوثه، بل هو أقرب إلى الإنسان من نفسه، وهو قادر على القضاء على هذه

الوساوس. هذا ما بينه الله تعالى في الآية المذكورة وطمأن عبده قائلاً بأنه لا داعي للخوف ما دامت الأسباب القاضية على الوسواس أقرب له من الأسباب المثيرة لها.

(٤) يجب أن يتدبر الآية التالية: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون ٩) ويقول بأني المؤمن الذي يجب أن يكون غالباً ولا يسع أحداً أن يغلبه. فإذا كنت غالباً فلا بد أن تغلب قوة إرادتي أيضاً. يجب أن يكتر من ترديد هذه الفكرة حتى تتحقق غلبة قوة إرادته على نفسه.

(٥) يجب عليه قراءة الآية التالية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر ٤٣)، يقول الله تعالى بأنه لا يمكن للشيطان أن يغلب عبادي. فيقول في نفسه بأني عبد من عباد الله تعالى فكيف للشيطان أن يتسلط علي؟ وكيف للشيطان أن يسيطر عليّ ويغلبني؟

(٦) يجب أن يواظب على قراءة الآية التالية: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس ٦٣)، ثم يفكر بأني لا أخاف إلا الله، إني مؤمن والمؤمن لا يخاف أحداً غير الله تعالى.

(٧) يجب أن يتدبر الآية التالية: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت ٣٢)، من كان مؤمناً نزلت عليه الملائكة قائلة: إنا لك من الناصرين فما الداعي للقلق والخوف؟

(٨) يجب أن يقرأ: ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٨) ويقول لن أَدع المشاكل تعرضني لليأس، لأن اليأس موت ولا أقبَل لنفسي الموت بحال من الأحوال، فلا أَيْأس إذا كانت إرادتي لا ترضخ لأوامري ولن يهدأ لي بال حتى أجعلها ترضخ وتطيع.

(٩) يجب أن يتدبر الآيات التالية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٨-٣١) ويقول: إنني مطمئنٌ وتحذوني الآمال التي أرقبها، فما دام الله تعالى معي ويقول لي اذهب وادخل جنة الخلد التي لا تبلى فأني يصيبني قلق؟

(١٠) يجب أن يقرأ الحديث الشريف التالي: "يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ".^{٤٦} ثم يفكر بأن الله تعالى يعد المؤمن بوضع القبول له في العالم كله وهذا يعني أنه لن يدعه يلقي الذلة والهوان. هذا التفكير أيضا يعزز عزمته.

(١١) يتدبر الآية التالية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجناتية ١٤) ويقول إن مردّ جميع أنواع الفشل هو الجشع والطمع، فلا أطمع في شيء، أليس الله تعالى قد خلق لي وسخر لي كل شيء مسبقاً؟

(١٢) ينبغي أن يكثر من قراءة قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٣٠)، ويفكر على النحو التالي: لا يمكن أن تجد الأفكار السيئة والنية الخبيثة والخواطر النجسة طريقاً إلى قلبي، لأنني أُنتمي إلى تلك الأمة التي قال عنها الله تعالى إنهم أشدّاء على الكفارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، أي أنهم يقبلون أثر المؤمنين ولا يقبلون أثر الكفار بحال من الأحوال.

(١٣) يجب أن يكثر من ترديد قول الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة ١١٩)، ويتدبر الحديث النبوي الشريف: "لا يشقى جلسهم"^{٧٤}، ويفكر بأن كل ما يخطر بباله من أفكار حسنة لا بد أن تؤثر في الآخرين أيضاً. يقول الله تعالى: كونوا مع الصادقين الصالحين، فإن لم أؤثر في الآخرين تأثيراً طيباً فهذا يعني أنني لم أبلغ بعد مرتبة المؤمن الحقيقي.

(١٤) يجب أن يتدبر بأن الله تعالى قال عن رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء ٣٥).. أي: لم نخلقك ولا أحداً غيرك لتكونوا في هذه الدنيا من الخالدين. فليفكر الإنسان بأنه لن يبقى في هذا العالم إلى الأبد فينبغي ألا يضيع وقته. يؤدي العمل بهذه الأمور الأربعة عشر إلى كسب قوة إرادة كافية لكبح جماح الجذبات والمشاعر شريطة أن يتدبر الإنسان هذه الأمور تدبراً عميقاً.

٤- والعلاج الرابع لتقوية الإرادة أو إزالة العراقيل التي تحول دونها أن يشن هجمة شديدة ضد العيب الذي يعتزم التخلص منه، كالجيش الذي يستنفد كل طاقاته في هجمته الأولى لتكون كاسحة، وهكذا يجب استنفاد الجهد بكل تركيز وقوة للتخلص من السيئة.

٥- والعلاج الخامس هو أن يعود نفسه على ما يريد خلقه في نفسه من خصلة حميدة، أو يعودها على التحلي بخصلة مضادة للتي يحاول التخلص منها. مثلاً، إذا كان سريع الغضب وحاد الطبع فليحاول الالتزام بالرفق واللين.

٦- يتعود التفكير والتأني ويجتنب التسرع والعجلة، فيُعصم من كثير مما اعتاده سابقاً، لأن عادات الإنسان تهاجمه مستغلةً تسرعه بينما تبقى عاجزةً عن الإضرار به لو اعتاد التفكير والتدبر قبل الإقدام على أي عمل أو خطوة.

٧- يجب عليه - عند العمل بشيء أو تركه - استعراض حقيقته الكاملة في ذهنه ودراسة الموضوع من جميع جوانبه حتى تتبلور في ذهنه خطة لإنجازه، هذا ما

سيساعده على العمل بما يصلح له والتخلي عما يجب اجتنابه.

٨- يجب عليه أن يترك أحيانا الأمور المشروعة التي يرغب فيها لكي يروض نفسه على العمل خلاف عاداته. مثلا، من اعتاد السرقة ولم يستطع التخلي عنها، فعليه أن يبدأ بترك بعض الأمور المشروعة التي يرغب فيها أيضا، كأن لا ينام يوما مهما كان طبعه ميالا له، أو لا يأكل شيئا ولو وجد في نفسه رغبة عارمة له. وهذا الأمر يؤدي إلى تقوية القلب رويداً رويداً. هناك قول شهير لعلی رضي الله عنه:
عرفت ربي بفسخ العزائم^{٤٨}. وأفهم معناه على أنني عقدت عزمًا بعد عزم إلا أنه فسخ مرة بعد أخرى، لقد تكرر ذلك كثيرا إلا أنني بقيت أعاود الكرة دونما تعب أو ملل، فكانت النتيجة أنني فزت بالله تعالى في نهاية المطاف. فلو يئست بعد فسخ الإرادة الأولى وجلست جانباً ولم أعقد العزم مرة ثانية لما استطعت الوصول إلى الله تعالى.

٩- يجب أن يستعرض الإنسان نفسه ويفحصها مرة بعد أخرى كالطبيب الحكيم الذي يكرر فحصه للمريض.

١٠- يجب أن يجعل أهدافه عالية دوماً ولا يقنع بالحالة الوسطى، يجب أن يحدد له هدفاً عالياً في كل خطوة يريد الإقدام عليها، لأن الذي تكون إرادته عالية فلا بد أن يحقق شيئاً منها، وهذا ما سيمكّنه من التحكم في نفسه.

وبالإضافة إلى ما سلف ثمة طريقة أخرى أيضاً وهي الدعاء، فلو أخفقت جهود الإنسان ولم تجده محاولات الشخصية نفعاً ففي مثل هذه الحالة يحتاج إلى مساعدة خارجية. فالأمر الأول هو سعيه الخاص وهو ما يسمى بالمساعدة الداخلية، أما الثاني فالمساعدة الخارجية وهي أن يبذل الإنسان ما في وسعه ثم يدعو الله تعالى قائلاً: إني قمت بما كان في وسعي ولن يُكْتَبَ لي النجاح إلا إذا ساعدتني وأمددتني. هناك قصة مشهورة لأحد الصالحاء الذي أحب أحد تلامذته التصوف فجاءه ليتعلم على يده فمكث لديه فترة، ولما أراد العودة إلى بلده قال له الرجل الصالح: أنت راجع الآن إلى بلدك، فهل الشيطان موجود في بلدكم؟ فاحترار التلميذ بهذا السؤال، وقال:

الشیطان موجود في كل مكان. فقال: ما دام الشیطان موجوداً هناك أيضاً فماذا ستفعل إذا هاجمك؟ قال: سأقاومه. قال الرجل الصالح: حسناً، هَبْ أنك حاربت الشیطان ففرّ من وجهك، ثم عُدتَ إلى العمل ومواصلة السير في سبيل التقرب إلى الله تعالى، إلا أن الشیطان عاد من ورائك وأخذك ومنعك من التقدم، فماذا تفعل إذا؟ قال: سأحاربه وأحاول التخلص منه ثم أستأنف مسيرتي. فقال الرجل الصالح لو بقيت تحارب الشیطان وتقاومه على هذا النحو فمتى تتفرغ وتتوجه للتقرب إلى الله تعالى؟ فاحتار التلميذ وقال: إذا أخبرني ماذا يجب عليّ فعله؟ قال الرجل الصالح: لو ذهبتَ لزيارة صديقك واعترض كلُّه سبيلك، فماذا ستفعل؟ قال سأقاومه وسأضربه بعضاً. قال: هَبْ أنه فرّ حين ضربته ولكنه عاد وأتاك من ورائك وأخذك من رِجلك، فماذا ستفعل؟ قال التلميذ: سأنادي صديقي وأقول: تعال وادفعْ عني كلبك. فقال الرجل الصالح: هذا ما ينبغي عليك اتباعه ضد الشیطان أيضاً. فعليك أن تدعو ربك وتناديه: يا رب، أريد أن أصل إليك، ولكن كلبك هذا يحول دوني، فادفعه عني حتى أصل إليك.

إذاً، فهذه طريقة أخرى من بين الطرق المذكورة للتخلص من السيئات وهي أن يدعو الإنسان ربّه قائلاً: اللهم إني سعت جاهداً

ولا أزال أبذل كل ما في وسعي ولكني لن أحرز أي نجاح بدون مساعدتك وعونك.

الأمر العاشر الذي ذكرته هو أن يجعل الإنسان أهدافه عالية دوماً، فسأل أحد الإخوة: هل يجوز أن تكون مطامعنا عالية أيضاً؟ أقول: لا أرى جوازها، لأن المسيح الموعود عليه السلام أيضاً كتب أنه يجب ألا يتمنى الإنسان تلقي الإلهام^{٤٩}. ولكن هناك بون شاسع بين الأهداف العالية وبين الجشع والطمع. ويعني الجشع أن يتمنى الإنسان الحصول على كل ما رآه حسناً، أما الهدف العالي فيتقرر قبل الرؤية ثم تتم المحاولة لتحقيقه. إن الطمع والجشع يجعل الإنسان يشحذ ويستجدي ويمد يد المسألة إلى الآخرين أما الذي يسعى لتحقيق الأهداف فليس كذلك لأنه يتحلى بعلو الهمة والعزيمة. وهذه هي حالة من يتمنى الإلهام، لأن الإلهام عبارة عن مأدبة يشرف بها الله تعالى عبداً من عباده. فلو قال أحد بأنه يقصد زيارة صديقه ليأكل عنده طعاماً شهياً فهو قول منحط ولا بد أن يستقبحه الجميع، ولكن لو قال إني ذاهب لزيارة صديقي فلان فلا يعترض عليه أحد حتى لو شارك خلال هذه الزيارة بمأدبة شهية جداً، وعليه

فعندما يدعو الإنسان أن يهبه الله تعالى درجات روحانية عليا وينعم عليه بقربه، فلا بد أن يتشرف بمأدبة الإلهام أيضا مع نيته الدرجات الروحانية العالية المذكورة. ولكن من يتمنى تلقي الإلهام فهذا يعني أنه يطمع في هذه المأدبة ولا يهمله نيل قرب الله تعالى، فلا تصح رغبته هذه.

وأعود مرة أخرى إلى صميم الموضوع وأقول: إن لم يحقق أحد رقيًا في الأعمال الصالحة - بعد العمل بهذه الأصول التي ذكرتها - ولم يتمكن من تجنب السيئات فليوقن أن مرضه جسدي وليس روحانيا، وهناك خلل ما في أعصابه وينبغي أن يستشير الأطباء، ومن لا يتمكن من ذلك فعليه الالتزام بهذه الأمور الأربعة:

(١) أن يمارس الرياضة (٢) أن يترك الأعمال الذهنية (٣) أن يتبع النظام الغذائي السليم (٤) أن يسعى للمحافظة على بهجة القلب وفرحته.

اعلموا أن بعض الأمراض الروحانية قد تنشأ نتيجة الأوهام والظنون، كما هي الحال في الأمراض الجسمانية أيضا. وأقول عن خبرة إنني - أثناء قراءتي لكتب الطب - كلما قرأت عن مرض ما خطر ببالي أنني مصاب به، كما قال لي أحد طلاب الطب أيضا إن أحد أساتذتهم قد حذر من وقوع بعض الطلاب فريسة لمثل هذه

الأوهام أثناء دراستهم للطب؛ لذلك فإنني أيضا أوجه النصح إليكم أن تأخذوا حذركم وألا تقعوا في مثل هذه الأوهام فتظنوا أنكم مصابون بهذه الأمراض الروحانية ثم تؤدي بكم هذه الأوهام إلى الإصابة بها حقيقة في نهاية المطاف.

يُحكى أن أستاذاً كان قاسيا مع طلابه، وأراد الطلاب في أحد الأيام أن يحتالوا عليه ليحصلوا على إجازة، فقال أحدهم: أضمن لكم العطلة اليوم إذا فعلتم كما أقول لكم. سأقول للأستاذ: سيدي، ما بك؟ لأن وجهك يبدو شاحباً، ثم تأتون أنتم مرة بعد أخرى وتقولون كما قلت. فاتفق الطلاب على هذا الاقتراح، فذهب أحدهم إلى الأستاذ وقال له: أستاذي الكريم، هل أنت بخير؟ فردّ عليه الأستاذ: ما هذا الهراء الذي تقوله؟ احرص واعمل عملك. ولكن الطالب تجرأ وقال: سيدي: إن وجهك يبدو شاحباً اليوم. فشتمه الأستاذ، فذهب وجاء طالب آخر، فكرر الكلام نفسه. فشتمه الأستاذ ولكنه كان أقل قسوة معه. فلما تكرر مجيء الطلاب وقالوا له الكلام نفسه فقد وافق الأستاذ عند مجيء الطالب السادس أو السابع أنه يشعر بوعكة صحية خفيفة ولا داعي للقلق. فلما جاءه الطالب الخامس عشر أو السادس عشر قال له الأستاذ: أشعر بسخونة فالأفضل لي أن أرتاح قليلا، فقد أصيب بالحمى وترك

الطلاب وراح إلى بيته. فرجع الطلاب أيضا إلى بيوتهم وقالوا لأمهاتهم إن الأستاذ قد مرض فلا بد من عيادته. فلما أخذت النساء يذهبن إلى بيته ويُعَرِّبْنَ عن مشاعر المواساة والتعاطف عليه، ظن الأستاذ أنه مريض جداً فاشتد مرضه ومات في النهاية.

قد تكون هذه مجرد قصة ولكن أثبتت البحوث الميدانية في أوروبا أن هناك زيادة ملحوظة في الأمراض منذ أن أُخترعت الأدوية المؤثرة بالوهم (Potent)، لأن صناع الأدوية يبالغون في دعاياتهم لها بحيث يسجلون قائمة طويلة للأمراض التي يعتبرون دواءهم مفيدا فيها، وعندما يقرأها الناس يطلبون هذا الدواء ظنًا منهم أنهم يعانون أحد هذه الأمراض، ثم تتطور أوهامهم فيصابون بتلك الأمراض حقيقةً. فينبغي للإنسان أن يجتنب الانجراف مع تيار الأوهام.

الأمر الثاني الهام على الصعيد الجماعي والقومي أيضا هو أن لا يشترك الإنسان في إشاعة الفاحشة. يعتاد بعض الناس تشويه الآخرين فيقولون: الناس ههنا سيئون جداً لأنهم يجتالون ويهضمون حقوق الآخرين. كان البعض فيما سبق يرفعون صوتهم ضد هؤلاء المشوّهين، ولكنهم الآن يقولون دعوهم وشأنهم فلا علاقة لنا بهم، ثم وصل بهم الحال إلى أن أصبحوا يقولون: صحيح أن هناك من هو على هذه السيرة ولكن ماذا عسى أن نفعل تجاههم، ثم يتفاهم أمرهم

تدريجياً حتى يقولوا: أصبح الجميع ههنا سيئين. ينبغي ألا يصغي الإنسان لمثل هؤلاء الناس وإلا فسيقع في السيئة نفسها. ولقد قال النبي ﷺ إذا رمى أحد غيره بشيء ارتدّ عليه °، وهكذا تفسد الأقسام وتُدمر، لذلك ينبغي مقاومة من يشيع الفاحشة، ويجب أن يقال له: يمكنك أن تحذّر الناس عن شخص سيئ وعن سيئته ولا يحق لك أن تتهم الجميع بالسوء. فلا يليق أن يطلق تعليقات عامة. قال النبي ﷺ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ فَسَدَ النَّاسُ فَقَدْ أَفْسَدَهُمْ °. أي إذا قيل للناس مرة بعد أخرى أنهم فسدوا فسيجعلهم هذا الظن فاسدين في النهاية. فلا بد من مقاومة مثل هذا العدو المشترك الذي يشيع الفاحشة ويسيء إلى القوم كله وينعته بالفساد. ومن ناحية أخرى فإن القوم الذي لا يكثر هذه الأمور أيضاً يُدمر ويهلك. لذلك فالعلاج الحقيقي هو

50 الحديث المشار إليه كالآتي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ. (البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن) (المترجم).

51 الحديث المشار إليه هو: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ. (مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي من قال هلك الناس) (المترجم).

أن يُرَفَّعَ مثل هذا الأمر إلى أولى الأمر حتى يحققوا فيه وإذا وجدوه كذلك سعوا لإصلاحه.

كنت أتوقع في البداية أن خطابي هذا سينتهي خلال يوم واحد، فلما كتبت ملاحظاتي بدا لي أنه سيستغرق يومين، ولكن ها إنني عند نهاية اليوم الثاني لم أتمكن من ذكر الطرق الأربعين الأساسية التي تساعد الإنسان على أن يصبح باراً وصالحاً، فسأسجلها في النسخة المطبوعة لهذين الخطابين أو أتناول ذكرها في مناسبة أخرى. إذا لا تزال النقاط الأربعون قائمة رداً على السؤال: كيف يمكن للإنسان أن يصبح صالحاً وباراً.

والآن أنهي خطابي هذا بقول المسيح الموعود عليه السلام الذي قاله بلهجة ملؤها الأمل الشديد بأنه لا يمكن أن يتحقق غرضنا من إنشاء هذه الجماعة ولا يمكن أن تحظى جماعتنا بأفضال الله تعالى ما لم نصبح صالحين، لذلك فعلى الجميع السعي للتخلق بتلك الأخلاق التي اعتبرها المسيح الموعود عليه السلام ضرورية لنا. إنني على أمل كبير أن من سجل ملاحظات خطاباتي هذه السنة أو الذين سمعوها سوف يسعون جاهدين للعمل بما ورد فيها حتى نؤكد للعالم كله أنه لا مثيل لنا في الأعمال الصالحة. والحق أنه لا يسعنا أن نحقق للعالم النجاة ولا نستطيع إحداث أي تغيير ملموس فيه ما لم يصبح كل

فرد من أفراد جماعتنا وليا من أولياء الله تعالى. فليس هدفنا هو محاربة السيئات المنتشرة في العالم فحسب بل محاربة تيار الأفكار السيئة أيضا ومواجهة البحر المواج بالخيالات والظنون الذي يتماوج من كل الأطراف والنواحي. لذلك فوضعنا حساس جداً، وأرجو من أفراد الجماعة أن يسعوا جاهدين ليصبحوا كما كان المسيح الموعود عليه السلام يتوقعه منا. والآن أختتم خطابي هذا بدعاء المسيح الموعود عليه السلام الآتي:

"ماذا أفعل ومن أين آتي بتلك الكلمات التي تؤثر في قلوب هذه الجماعة. اللهم هب لي تلك الكلمات وألهمني تلك الخطابات التي تلقي في قلوبهم نورها، وتزيل بخواصها الترياقية سمومها. إن روعي لتطلع لرؤية ذلك اليوم الذي أرى فيه الكثيرين من جماعتي الذين قد تخلوا عن الكذب حقيقة وعقدوا عهداً صادقاً مع ربهم أنهم سيجتنبون كل شر، وسيبتعدون ابتعاداً كلياً عن الكبر الذي هو أصل كل شرور، وسيتقون ربهم. إني أدعو بهذا الدعاء وسأواظب عليه إلى آخر أنفاسي أن يطهر الله تعالى قلوب جماعتي، ويمد يد رحمته إلى قلوبهم فيحولها نحوه، ويرفع جميع أنواع الشرور والضغائن

من قلوبهم ويهبها حباً صادقاً فيما بينهم، وإني على يقين بأن دعائي هذا سيلقى القبول في حضرته ولن يضيع الله تعالى دعواتي.^{٥٢}

سوف يستجاب دعاء المسيح الموعود عليه السلام ولن يضيعه الله تعالى، ولكن يجب أن تفكروا في أنفسكم هل أنتم ستصبحون مصداقاً له أم الذين سيأتون من بعدكم؟ فلو استجيب هذا الدعاء في حق الذين سيأتون بعدنا فماذا استفدنا إذا؟ لذلك أقول يجب أن نجعل دعاء المسيح الموعود نصب أعيننا ثم يجب أن نسعى لتكون مصداقاً له فتقر أعيننا برؤية ذلك المشهد الذي رسمه المسيح الموعود عليه السلام.

والآن بعد الدعاء أعلن إنهاء هذه الجلسة وأسمح بالمغادرة لمن يريد.

يقول أصحاب المكتبة أن أشفع لهم أن يشتري أفراد الجماعة كتب المسيح الموعود عليه السلام التي نشرها. فأقول: من واجبكم أن تنشروا كتب المسيح الموعود عليه السلام فاشتروها وقرؤوها ثم انشروها في العالم كله أي اسعوا جاهدين لإيصالها إلى الآخرين.

